

T  
14A

الطبيعية

في

الشعر الاندلسي

جميلة شحاده الخوري

وهي رسالة قدممت الى كلية

الاداب في جامعة بيروت الاميركية

لنيل

شهادة استاذ في العموم

الجامعة الاميركية

بيروت

١٩٤٦

## مقدمة البحث

هذه رسالة تبحث في شعر الطبيعة في الاندلس . ولقد تناولت فيها قبل البحث في جوهر الموضوع وبشيء من الايجاز تاريخ الفتح الاندلسي والاسباب التي دعت اليه ، والعوامل التي ساعدت على ذلك . كما انني وجدت نفسي مضطرة لكي يجيء البحث مستوفى الشروط ان اتناول حالة الاندلس الاجتماعية وما كانت عليه عندما فتحتها العرب مما كان له الاثر الفعال في نفوس الشعراء وتلوين شعرهم بلون خاص .

ولن يجد القارئ بحثا مستفيضا تام الاجزاء في شعر الطبيعة رغم تخصص الرسالة في الموضوع وذلك عائد لفقدان المصادر الكثيرة وعدم توفرها في هذه الاوقات امام الباحثين في الاندلس وآدابها . زد على ذلك ان دراسة الطبيعة الاندلسية في مظاهرها الخارجية وما اوحته للشعراء من جميل الشعر وتصوير الانطباعات التي انطبع بها الشعراء كنتيجة للانعكاسات الجمالية التي انعكست على نفوسهم كل ذلك يحتاج الى درس مستفيض عميق يتطلب اكثر مما هو مطلوب من رسالة كهذه الرسالة .

ولقد آثرت بعد ان انعكفت طويلا على مطالعة الشعر الاندلسي وقراءته قراءة دقيقة وغربلته ان اجتمع منه نماذج مختلفة تمثل مختلف الشعراء الوصفيين المعروفين في الاندلس فجاءت الرسالة مرجعا سهلا جامعا مبويا لهذا اللون من الشعر العربي في الاندلس واعتقد ان على ذلك تقوم اهمية البحث الذي اضعه بين يدي القراء وارجوه بحثا موفقا —

فهرست الرسالة

الفصل الاول ( ١ - ١٥ )

١ من الصحراء الى الجزيرة الخضراء

١ - ١ - فذلكة تاريخية

٦ - ٢ - من زوايا المجتمع الاندلسي

الفصل الثاني ( ١٦ - ١٠٤ )

١٦ الطبيعة في الشعر الاندلسي

١٦ - ١ - نظرة عامة في الشعر الاندلسي

١٨ - ٢ - شعر الطبيعة

٢٠ - ١ - الخضراء

٣٨ ، ٢٠ - ١ - الرياض والحدائق : الورود والرياحين

٤٩ غراس الفاكهة وسواها

٦٢ المنتزهات

٧٠ ب - الماء : الجداول والغدران ، البحيرات والبحار

الاحواض والنواعير

٨٧ ج - الجبال والاوديّة

٩٤ د - الطير والحيوان والسموم

١٠٣ خاتمة

## المآخذ

المصادر : ( مرتبة حسب نسبي الوفاة )

- ١ - الضبي : احمد بن يحيى بن عتبة سنة ١٧٠ هـ " بغية المتوسفي  
تاريخ رجال الاندلس " مدريد سنة ١٨٨٤ م
- ٢ - اليعقوبي : احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكتاب العباسي سنة ٢٧٨ هـ  
" تاريخ اليعقوبي " برلين سنة ١٨٨٢ م
- ٣ - الطبرى : ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى سنة ٣١٠ هـ " كتاب اخبار  
الرسول والملوك " طبع مصر ١٩٠٦ م
- ٤ - ابن عبد ربه : احمد بن محمد سنة ٣٢٨ هـ " العقد الفريد " المطبعة الايبيرية  
مصر سنة ١٢٦٣
- ٥ - المسعودى : علي بن الحسين بن علي سنة ٣٤٦ هـ " مروج الذهب ومعادن  
الجسوه " باريس سنة ١٨٨١ م
- ٦ - ابن حوقل : ابو القاسم ابن حوقل النخعي سنة ٣٥٦ هـ " كتاب صورة الارض  
مطبعة برلين ليون سنة ١٩٣٨ م
- ٧ - القاسي : ابو علي سنة ٣٥٦ هـ " كتاب الاطالي " دار الكتب المصرية  
سنة ١٣٤٤ م
- ٨ - ابن هانسي : ابو القاسم محمد بن هاني الازدي سنة ٣٦٣ هـ " ديوان ابن  
هانسي الاندلسي " بولاق سنة ١٢٧٤ هـ وفي بيروت سنة ١٨٨٤ م
- ٩ - المقدسي : ابو عبد الله محمد بن البشاري سنة ٣٧٥ هـ " احسن التقاسيم  
في معرفة الاقاليم " سنة ١٩٠٦
- ١٠ - ابن التديس : محمد ابن الحقي الوراق سنة ٣٨٥ هـ " الفهرست "  
لبنك سنة ١٨٧١ م
- ١١ - ابن الفرضي : ابو الوليد عبد الله بن محمد بن الاسفالاودي سنة ٤٠٣ هـ  
" تاريخ علماء الاندلس " مدريد سنة ١٨٩٢ م
- ١٢ - الثعالبي : ابو منصور عبد الله بن محمد اسماعيل سنة ٤٢٩ هـ " يتيمة  
الدهر في محاسن اهل العصر " دمشق سنة ١٣٠٤ هـ
- ١٣ - ابن حزم : ابو محمد بن حزم الاندلسي سنة ٤٥٦ هـ " طرق الحمامة في الالفه  
والالاف " مكتبة مرفة دمشق

- ١٤ - ابن صاعد : القاضي صاعد ابن احمد بن صاعد الاندلسي سنة ٤٦٢ هـ  
" كتاب طبقات الامم " بيروت ١٩١٢ م
- ١٥ - ابن زيدون : ابوالوليد احمد بن عبد الله سنة ٤٦٣ هـ " الديوان " مطبعة  
مصطفى الباي الحلبي طبعة اولى مصر سنة ١٣٥١ هـ
- ١٦ - ابن حيان : ابن مروان حيان بن خلف سنة ٤٦٩ هـ " المقتبس في تاريخ رجال  
الاندلس " باريس ١٩٣٧
- ١٧ - ابن حديد : او محمد عبد الجبار سنة ٥٢٧ هـ  
" الديوان " روم سنة ١٨٩٧ م
- ١٨ - ابن خفاجة : ابواسحق ابراهيم ابن خفاجه " الديوان " المطبعة الخاصة  
بجمعية المعارف بصر سنة ١٢٨٦ هـ
- ١٩ - ابن خاقان : الفتح ابن خاقان الوزير الكاتب سنة ٥٣٥ هـ
- ا - ثلاث العتيان
- ب - مطح الانفس ومصرح التانس في ملح اهل الاندلس  
مطبعة الحوائب استنبول سنة ١٣٠٢ هـ
- ج - تاريخ الدولة العبادية في الاندلس " نشر دوزى
- ٢٠ - ابن بسام : ابوالحسن علي بن بسام الشنعري سنة ٥٤٢ هـ " الذخيرة في  
محاسن اهل الجزيرة " مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر  
القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ
- ٢١ - ابن بشكوال : ابوالقاسم خلف بن عبد الملك بن سعرد بن بشكوال الخزرجي  
الانضلي القرطبي سنة ٥٧٨ هـ " كتاب الصلة " مدريد ١٨٨٣ هـ
- ٢٢ - المراكشي : ابو محمد عبد الواحد سنة ٦٢١ هـ " المعجب في تلخيص  
تاريخ المغرب " مصر سنة ١٩٠٦
- ٢٣ - ياقوت : الشيخ شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي ٦٢٦ هـ  
ا - معجم الادباء او ارشاد الارباب الى معرفة الاديب مصر سنة ١٩٢٤ م  
ب - معجم البلدان " مطبعة السعادة مصر سنة ١٣٢٣ هـ
- ٢٤ - ابن الاثير : ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الملقب بعز  
الدين سنة ٦٣٠ " الكامل في التاريخ " الجزائر سنة ١٩١٠ م

- ٢٥ - ابن السهمل : ابراهيم ابن السهمل الاسرائيلي سنة ٦٤٩ هـ  
( الديوان \* المكتبة العربية الطبعة الاولى مصر ١٩٢٦ م )
- ٢٦ - ابن خلكان : شمس الدين ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان الاربلي سنة ٦٨١ هـ  
" وفيات الاعيان وابناء الزمان ما ثبت بالنفل والسمع او اثبتت العيان " دارالطباعة المصرية ١٢٧٥ هـ
- ٢٧ - الفهرستى : شهاب الدين احمد بن عيد الوهاب سنة ٧٢٢ هـ \* نهاية الارب  
في فنون الادب و مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة سنة ١٣٤٢ هـ
- ٢٨ - ابوالفداء : السلطان الطنك المويذ اسماعيل بن علي بن محمود بن المنصور  
محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن نور الدين شاهنشاه بن نجم  
الدين ايوب سنة ٧٢٢ هـ \* المختصر في اخبار البشر \* طبعة  
اولى المطبعة الحسينية مصر
- ٢٨ - ابن فضل الله العمري : سنة ٧٤٨ هـ \* مسالك الابصار في مالک الابصار \*  
مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٤٢ هـ
- ٣٠ - ابن شاكسر : محمد بن شاكسر سنة ٧٦٤ هـ \* سنوات الوفيات مصر ١٢٩٩ هـ
- ٣١ - ابن الخطيب : الزهير لسان الدين ابن الخطيب سنة ٧٧٦ هـ \* الاحاطة في اخبار  
قرناطة \* مطبعة الوسائط باب الخلق طبعة اولى مصر ١٣١٩ هـ
- ٣٢ - ابن خلدون : عبد الرحمن محمد سنة ٨٠٨ هـ \* كتيب العبر وديوان المتبرار والخير  
في ايام العرب والعجم والبربر \* مطبعة بولاق مصر ١٢٨٤ هـ
- ٣٣ - النواجي : شمس الدين محمد بن الحسن سنة ٨٥٩ هـ \* كتاب حليلة  
الكهف \* المكتبة الحلامية مصر سنة ١٣٥٧ هـ
- ٣٤ - الحميرى : ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الصم سنة ٨٦٦ هـ  
صفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب " الروض المعطار في خبر الاقطار "   
نشر لافي بروفنهال مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٢٧ م
- ٣٥ - المقرئ : شهاب الدين احمد بن محمد سنة ١٠٤١ هـ \* نفع الطبيب في غصن  
الاندلس الرطيب ا - الطبعة المصرية السعيدية المصرية ١٢٧٥ هـ  
ب - الطبعة الازهرية مصر ١٣٠٢ هـ  
ج - الطبعة الجديدة مطبوعات دار المأمون مطبعة عيسى  
الباي الحلبي ونكاه مصر سنة ١٩٤٥ م
- ٣٦ - المحبسي : محمد امين بن فضل الله ١١١١ هـ \* خلاصة الاثر في اعيان الحادى  
عشر \* القاهرة المطبعة المصرية السعيدية المصرية سنة ١٢٨٤ هـ

## المراجع

- ١- امير علي سيد \* مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي \* نقله الى العربية رياض رافت مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨
- ٢- الاسكندري احمد ، وعنايني مصطفى : " الوسيط في الادب العربي وتاريخه " مطبعة المعارف ومكتبتها مصر سنة ١٩٤١ م
- ٣- البرقوقي عبد الرحمن : " حضارة العرب في الاندلس " مصر المكتبة التجارية سنة ١٩٢٣ م
- ٤- البستاني بطرس : اذياء العرب في الاندلس ومصر الاتبعات " طبعة ثانية مكتبة صادر بيروت ١٩٤٤ م
- ٥- زيدان جورجى : " كتاب تاريخ آداب اللغة العربية " مطبعة الهلال بالفجالة مصر ١٩١٢
- ٦- ضيف الدكتور شوقي " الفن ومذاهبه في الشعر العربي " مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة اولى القاهرة سنة ١٩٣٤ م
- ٧- كرد على محمد " الاسلام والحضارة العربية " دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٣٤
- ٨- الكيلاني كامل : نظرات في آداب الادب الاندلسي " مطبعة المكتبة التجارية مصر ١٩٢٤ م
- ٩- النصولي : انيس زكريا " الدولة الاموية في قرطبة " بغداد ١٩٢٦ م
- ١٠- نوفل سيد " للشعر الطبيعة في الادب العربي " مطبعة مصر القاهرة ١٩٤٥ م

Hitti Philip : "History of the Arabs "	1 1
Macmillan & Co. Ltd. St. Martin Street, London 1937	
Nicholson Reynold : " A Literary History of the Arabs "	12
Cambridge at the University Press 1930	
Peres Henry: "La poesie Andalouse En Arab Classique au XI Siecles. Librairie d'Amérique et d'Orient Paris 1937.	13

## الفصل الاول من الصحراء الى الجزيرة الخضراء

### لمحة تاريخية عن الاندلس

ليس الغرض من هذا الفصل ان نؤرخ حياة العرب في الاندلس فنذكر كيف تم الفتح بالتفصيل بعد ان نقدم لذلك بالمقدوات التمهيديّة وسنتتبع ما يمكن من الاستنتاجات التاريخية كما يفعل المؤرخون . كلا ليس غرضي شيئاً من ذلك ، ان هي الا لمحة سريعة خاطفة عن وصول العرب الى الاندلس نقف فيها عند بعض المظاهر التي نعتقد انها كانت جديدة على الغزاة الفاتحين فائرت في ادابهم وعلومهم وثقافتهم . <sup>دعنا فاقم</sup>  
استطاع العرب <sup>ونظني</sup> بعدة وجيزة من الزمن لم تتجاوز العقدين من السنين من تدويع اعظم قوى ذلك العصر <sup>قوى</sup> تعنى بها الامبراطوريتين الفارسية في الشرق والهنديّة في الغرب ، وهكذا بعد ان كانوا حفنة من الرجال يتكوّن برمال الصحراء وحرارتها وشوون بلهبها المحرق تملّحهم حرارة الشمس الفتاجية في النهار وقرض اجسامهم البرد القارس في الليل اصبحوا في هذه المدة الوجيزة امّة عظيمة العدد قوية الشكيمة يرهب جانبها الاكاسرة ويخشها القياصرة ، واصبحت سوريا للمكبري مصر وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب الاقصى كلها من ولايات الامبراطورية الجديدة .  
وكانني بهولاً الغزاة الابطال ، وقد دوخوا قوى الشرق والغرب فوصلوا الجزيرة العربية باطراف افريقية من ناحية واطراف الهند من ناحية اخرى قد جنموا على الشاطئ الانريتي وقد اخذتهم نشوة النصر والفتوحات ، فراحوا ينظرون الى الشاطئ الاوربي الذي لا يفصله عنهم الا شقة ضيقة من الماء محدثين انفسهم بغزوه موطنين العزم الاكيد على تدويخه واعادة تشييل الدور الذي مثلوه قبلا مع الفرس والرومان .

وتحققت احلامهم ونالوا وا صبت اليه قلوبهم ، وتم الفتح على ايدي موسى بن نصير وطارق بن زياد ، ولا عجب في ذلك فقد كانت اسبانيا الجميلة ذات الطبيعة الحلوة الجذابة قبل الفتح العربي مشهورة القوى في حالة اضطراب وفوضى ، تترج تحت نير القوط الفاصيين (١٠) الشديد الوطأة وتتنازعها الثورات والفتن وتتاكلها الاحزاب والفرق ، فتتفخ فيها سموم التفرقة والخذلان ، فيها شعبها يئن من صف الارستقراطية ويتالم من الاضطهاد وجور الطبيعة الحاكمة ، فاستبد ملوكهم وزادوا الضرائب على الشعب المسكين وقسموا البلاد بين رجال الدين والاشراف .



وهناك العبيد الذين كانوا يباعون ويشترون كحيوان من الحيوانات او متاع من  
الامعة البيت ، وكانوا كثيرى العدد بالنسبة الى الاحرار يعاملون بلا شفقة ولا رحمة تلعب  
السياط بابدانهم وتزهق ارواحهم ظلما لسجون ، ولذا كانوا يهربون الى الاحراج ويقومون  
في الاودية يسطون على املك اسيادهم من وقت الى آخر وسلبون السابلة ويقطعون الطريق  
وكان الى جانب المتاعين من الشعب الاسباني اليهود ، الذين كانوا يعانون  
اقصى انواع العذاب والاضطهاد من جور الطبقة الحاكمة والكهنة والاعيان .

هذه كانت حالة الشعب الاسباني عشية الفتح الاسلامي (١) . وفي ساعة  
الفرع السفر اشرق عليهم قس الحرية من جهة لم تكن بالحسبان فلم يكن من الغريب اذا ان  
يتمسك الاسبان به ، وينظروا الى العرب كخلصيهم من العبودية والاضطهاد ، وخصوصا لما  
عرف من العرب من التساهل والتساجح وما رآه ولمسه الاسبان انفسهم في افريقيا عندما  
كانوا يلبغون اليها من ظلم حكامهم وجورهم (٢) .

ولهذه الاسباب لم يلق طارق بن زياد وجيوشه مقاومة تذكر عندما التقوا  
بالذريق القوطي وجنده فهزموهم شر هزيمة بالقرب من قانس (٣) ، ففتحوا اسبانيا وظلوا  
يتوغلون فيها حتى بلغوا بعد احدى وعشرين سنة من غزوها قلب فرنسا عند مدينتي (تور)  
(وبواتية) (٤) <sup>تحت</sup> .

هذا الانتصار العميم لم يكفل لتلك البلاد الطمأنينة والسلام كما كان  
ينتظر وانما ظلت بلاد الاندلس عالة اموية يولى عاملها من قبل الخليفة تارة ومن الوالي فسي  
القيروان اخرى مدة ٤٦ عاما تولى فيها الامارة عشرون عاملا (٢٠) في فتح وجهاد ، وقتال  
ونضال ، واضطرام ثورات وقتن (٥) . ذلك ان هذا المجتمع الجديد الذي جمع الاسلام شمله  
مزج عناصر مختلفة النزعات ، مطاخنة الالهوا\* ، فلقد وصل اليه العرب عقب الفتح من مختلف  
القبائل من عدنانية وقحطانية وبنية وضرية وقبائل مختلفة من مصر والعراق والشام كما سبقتم  
الى البلاد الجديدة عصبيتهم القبلية وفيرتهم وحسدهم المتاصل في نفوسهم فعملت كل قبيلة

(١) History of the Arabs - Hitti, P:498 -99

النصولي - الدولة الاموية في قرطبة النصولي عن Dozy, Coppe, Milwan, Scott,

(٢) سيد امير على مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي P: 5-13-12

(٣) ابن خلدون المجلد الرابع ص ١١٢ القرى طبعة جديدة الجزء الثاني ص ١٣٥

(٤) Hitti History of the Arabs P.550

(٥) القرى طبعة جديدة الجزء الثاني ص (١١-١٢) (١٢٢-١٤٥) ابن خلدون م ٤٠ ص ١١٨-١١٩

للقضاء على الاخرى لتستأثر بالملك والسلطان (١) . وما زاد الامر خطورة تفاقم القادة والروساء وتنافسهم وتناحرهم ذلك التناحر الذي اخذ يمزق الصفوف ويشتت الشمل (٢) . كما ان رجال قبائل البربر الذين يتألف منهم معظم الجيش قد اخذوا يشعرون بوطأة الارستقراطية العربية واستئثار العرب بالسلطة والمغانم مع انهم هم اصحاب الحق في ذلك ، فنقموا على قوادهم العرب وابهضوهم ، وتالبوا عليهم وكانوا يتحينون الفرص للإيقاع بهم والقضاء عليهم . ولذلك ما كاد العرب يستقرون في بلادهم الجديدة حتى فاجأتهم الثورة البربر التي امتد لمهبها اليهم من شمالي افريقيا فانضت مضاجعهم وحرمتهم الراحة والطمانينة غير انهم ما لبثوا ان قضا عليها بيد من حديد (٣) . وما كانت نيران البربر لتخمد الا لتبعث العدوات القديمة المستحكمة بين القبائل والبطون العربية التي كانت دائما على تمام استعداد لاثارة القلاقل والفتن ، وكان هنالك علاوة على هذه العناصر المتطاحنة عناصر اخرى زادت الامر خطورة هي القوط وغيرهم من مسيحيين ويهود (٤) .

غير انه يجب ان لا نخط الفتح حسناته فمع ان العرب شغلوا في بادى الامر بتوطيد الفتح الجديد وتوسيع حدوده واستطاعوا في اعوام قلائل ان يقمعوا عناصر الشر والفسوق التي كانت مستولية على البلاد وان ينظموا ادارة البلاد المفتوحة ، فقد قضى الفتح على الطبقات الممتازة ، فتنفس الشعب العظم الضعداء ، نعم لقد فرض الحرب الضرائب ولكن بالعدل والمساواة واستطاع الناس ان يؤمنوا على حرياتهم وحياتهم ناموالهم (٥) . اما من الناحية الدينية فقد اظهر العرب تسامحا كبيرا فقد تركوا للاسبان حق الاختيار ، اما البقاء على دينهم وادفع الجزية واما اعتناق الاسلام فتسقط عنهم الجزية فيصبحون والمسلم سواء بسواء في الحقوق والواجبات (٦) .

وبينما القلاقل والثورات تسود هذا المجتمع العربي الجديد في هذه الدنيا الجديدة كان الشرق العربي يتخبط في حالة من الفوضى والحروب الداخلية لا تقل عما كانت عليه في الغرب ، فقد غلب الامويون على امهم وقامت على انقاضهم دولة العباسيين الفتية التي اخذت على عاتقها اباداة الامويين عن بكرة ابيهم ولكن تايى الاقدار الا لتكتب النجاة لشاب

(١) المقرئ طبعة جديدة الجزء الثاني ص ٢٦٣-٢٦٨ Hitt 501 - 503

(٢) المقرئ طبعة جديدة الجزء الثاني ١٣٢-١٤٥ ابن خلدون جزء ٤ ص ١٢٠

(٣) ابن خلدون ، الجزء الرابع ص ١١٨ ، ١٢٣ Hitt 502 - 503

(٤) A literary History of the Arabs, Nicholson P:405 Ch.IX. (٤)

(٥) سيد امير على مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ١٨ Hitt 510. (٥)

(٦) Nicholson. 408 " " " " Hitt 510 (٦)

لم يتجاوز العقد الثاني من عمره ، اصعب خفيف العارضين ، طويل القامة ، نحيف الجسم بوجهه خال (١) ، هو عبد الرحمن حفيد الخليفة الاموي هشام فينسل هربا من وجهه العباسيين فيما وجهه شطر الاندلس فاستطاع بشجاعته وطموحه وثقته بنفسه ان يؤسس دولة اموية عربية سنة ١٢٨ هـ / ٧٥٥ م - ١٠٣٠ م . دون ان يبذل مجهودا حريا يذكر ساعده على ذلك العداوات العنصرية والقتن المستحكمة بين القبائل (٢) واستمر حكم الامويين الى سنة ٤٢٢ هـ اى مدة ٢٨٤ سنة حكم اثناها تسعة عشرة خليفة نقطعت فيها الدولة شوطا بعيدا من الرقي والحضارة (٣)

ان قيام الدولة الاموية في الاندلس لم تقض على العداوات والحزازات الضطربة لعمل عبد الرحمن الداخل على التغلب عليها ولكنه اقرن اياها فظيها وهو استخدام الاحاب ووضعت قوته فيهم فاستعان بالبربر (٤) وانتهى بهم حتى استقلت اطراف المملكة وقام في كل جهة لهما معتصب من العرب والموالي والبربر واتسموا القاب الخلافة ليا بينهم فمن مقتدر الى معتضد ومن مستعين الى معتد حتى كثر الالقاب وتعددت الخلافات فذهبت بهجتها وزالت روحها وقال فيهم شاعرهم :

ما يزهدي في ارض اندلس تليق معتد ليا ومعتد

القاب ملكة في غير موضعها كالمهر يحكي انتقاخا صولة الاسد (٥)

وهؤلاء هم المسمون في تاريخ البلاد بملوك الطوائف فقد حكموا مستقلين كل منهم بتاحية كاهن عباد في اشيلية ، وابن هود بسرقسطة ، وابن الاطلس في بطليوس وذى النون في طليطلة وكان اقوى هؤلاء جميعا العباديون حكام اشيليا وقد كانوا يفاخر كل منهم جواره وسعى في التفرقة عليه بترقية بلاده واتساع رقعتها وسط نفوذه على مجاوريه بالنزاع المستمر والقتال الدائم ما سهل للعدو طريق الوصول اليهم والتغلب عليهم (٦) فقد الفت اسبانيا المسيحية الفرصة سانحة لاستيراد مجدها المفقود فاخذت تولب دولات الطوائف بعضها

(١) القرى طبعة جديدة الجزء الثالث ٨٤ - ٨٥

(٢) القرى الجزء الثالث طبعة جديدة ٧١ - ١٠ ابن خلدون الجزء الرابع ص ١٢١ - ١٢٢

(٣) ٧١ . . . . .

(٤) ٨٧ ابن خلدون الجزء الرابع ص ١٢٣

(٥) القرى فتح الطيب الجزء الثاني ص ٩٤

(٦) ملوك الطوائف دوزين ٦ - ٩ نيكولسن ٤١٤

على بعض دون ان يحمل طوك الطوائف على تجنب الخطر المداهم بل اخذوا يرتمون في احضان الاجانب . وحدث في هذه الاثناء ان ظهرت دولة المرابطين (١) ١٠٥٦ - ١١٤٦ م ٤٤٨ هـ - ٥٤١ هـ من برايرة افريقيا الشمالية فاخضعوا البلاد لسلطانهم وقضوا على الدولة النصرانية واصبحت دولة الاندلس ولاية افريقية ولكن ما لبثوا ان دب الفساد بين صفوفهم وتقوضت ملكتهم لتقوم مكانها دولة الموحيدين (٢) التي نشأت بمراكش في اوائل القرن السادس هـ ١١٣٠ - ١٢٦٦ م ٥٢٥ هـ <sup>٦٦٨</sup> ثم لم يلبث بعض امراء الاندلس ان ثاروا عليهم وردوهم الى بلادهم (٣) وكان في مقدمة هؤلاء الثائرين ابنى هود (٤) وابن الاحمر (٥) وقد ملك ابن هود شرق الاندلس جامعلا سرقسطة قاعدة له كما حكم ابن الاحمر غرناطة ولكن الجحالة لم تبقى <sup>تبعه</sup> هادئة بل نشب قتال عنيف بين ابن هود وابن الاحمر انتهى بهزيمة ابن الاحمر واستيلاء <sup>بني هود على غرناطة</sup> وبقي حكمهم زهاء القرنين والنصف (٦) .

وفي هذه الاثناء كانت السلطنة النصرانية قد نمت واتسع نطاقها واستولت على قواعد الاندلس وشغورها العظيمة كقرطبة وطليطلة واشبيلية ومرسية ولنسية وسرقسطة وغيرها كما تقلصت الدولة العربية واجتمعت اشلاءها بغرناطة التي بقيت محافظة على مركزها والتي سطعت فيها لحة من عظمة الاندلس الذاهبة وحضارتها الزاهية مدة من الزمن ، غير انها ما لبثت ان انتقلت اليها العدوى المشؤومة ولم يمض وقت بعيد حتى اخذت تمزقها الممارك الداخلية والمنازعات بين الرؤساء ، فاخذ يتب افرادها بعضهم على بعض مهدين الطريق للعدو الرايخ العريض لهم جميعا .

وكان مصرع الاندلس خلال احدى هذه الممارك الداخلية وما زالت قصة السلطان ابي الحسن واخيه الزغل ، وابنه عبد الله ابي محمد وانشقاق السلطنة الصغيرة في اندق ساعات الخطر الى شطرين والتجاء ابي عبد الله الى ملك النصارى لينصره على ابيه وهمه وانتهاز النصارى هذه الفرصة لالقاء ضربتهم الاخيرة على تلك المملكة التي مهدت لهم سهل الظفر بتفريق بعضهم البعض . ظم الامة التي لم تعرف معنى للاتحاد (٧)

- (١) ابن خلدون الجزء الرابع ١٦٢  
(٢) Nicholson 430-32 , Hitti 541-546 ١٦٧ - ١٦٦  
(٣) Nicholson 432-33 Hitti 543-48 ١٦٨ - ١٦٧  
(٤) ١٧٠ - ١٦٦  
(٥) ابن خلدون الجزء الرابع ١٧٠ - ١٧١  
(٦)  
(٧)

لقد كان من نتيجة استيلاء العرب على الاندلس ان تمخضت البلاد عن ثورة اجتماعية هائلة ، فقد اغتبت حقوق الطبقات الممتازة ورفعت الاثقال عن كواهل الشعب المسكين الذي كان يثخن من عسف الطبقات العليا المؤلفة من النبلاء ورجال الكليروس ، واستبدلت الضرائب الباهظة بضرائب عادلة تتناسب وحالة الاهلين على مختلف الطبقات ، كما اغتبت القيود التي سحقت التجارة وارهقت الطبقة الوسطى (١) فقد فرضت الجزية على الذميين والخراج على المسلمين والذميين وكانت الجزية زهيدة جدا يستثنى من دفعها الرهبان والنساء والاطفال بوجه عام ، والمقعدون والعمي والمرضى والارقاء بوجه خاص (٢) اما الخراج فكان يراعى في جيبه الحالة الزراعية في ذلك العام (٣) كما انه اعطي لليهود تمام الحرية في التصرف في ممتلكاتهم واقامة شعائرهم الدينية وكانوا يعاملون والنصارى والمسلمين سوا بسوا (٤) وهكذا فقد كان من الطبيعي ان تتحسن حالة الطبقة المستعبدة ، فاصبحوا احرارا يستاجرون الارض من اصحابها ويفلحونها ولا حق لاصحابها الا باخذ اربعة اخماس محصولها (٥) كما نرى ان المهاجرين العرب الذين وفدوا الى الاندلس من ممالك زراعية بطبيعتها كمصر وسوريا وايران اقبلوا على وطنهم الجديد بهمة ونشاط وشمروا عن ساعد الجد للعمل وترقية البلاد وتحسينها وخلقها من جديد بعد ان كانت مشلولة خاملة ايام الملوك السابقين فراوا الارض الواسعة قاحلة مجذبة ، فتعهدوها برعايتهم وعلمهم ، لانهم كانوا ملهمين بخواص الزراعة والفلاحة ، بل جعلوا الفلاحة علما قائما بذاته فاستطاعوا ان ينمو المحصولات ويستخرجوا الكنوز ، كما عرفوا ملائمة التربة والطقس لزراعة النباتات المختلفة وهكذا اخصبوا الارض القاحلة وهدموا المدن المهجورة ، وزينوها بالتماثيل الجميلة والحدايق الغناء ، وربطوا بينها بالتجارة ، وشجعوا العلوم والفنون . وهكذا جعلوا من اسبانيا جنة وارفة الظلال تجرى من تحتها الانهار .

وامتدت الفتوحات ، واتسع الملك ، واستتب الامن وتدفت الاموال ، وتبحر العمران ، وعهد الناس الى حياة الترف والترف من مستتبعات الحضارة ، ان تتجه اليه الامم بعد عصور النهضات لتجني ثمرات جهادها وكفاحها الذي بذلته في عهد النهوض والكفاح والتمهيد ، وتصبح تواقفة الى الاستمتاع بخيرات الحياة في ظل السلام والنظام اللذين تنشرهما الدولة بعد توطيد اركانها ، وفي بحبوحة الثروة والنعمة اللتين تدفقتا على الدولة بعد جهاد السنين والاجيال .

(١) H1TT1 510

(٢) H1TT1 509 - 510

(٣) سيد امير علي - مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ١٨

(٤) ١٨ " " " " " " " " (٤)

(٥) ١٩ " " " " " " " " (٥)

ولعل اكثر الامم اقبالا على وسائل الترف والتبخر فيه اشدها من قبل خشونة في العيش واصلبها واقواها  
مراسا في ميدان تنازع البقاء ، واتمها غلبة وظفرا على البلدان ، بل اكثرها ريحا من اسلاب اعدائها وارزاقهم  
فلا غرو اذا ان تجنح الى الراحة بعد الجهد والعناء ، وان تغالي في الاستمتاع بعد الصد والحرمان . فلا  
عجب اذا ان تصل اسبانيا الى ذروة سامية في حياتها الاجتماعية بعد ان اصبحت ميزانيتها على زمن الناصر  
خمس الآف الف دينار واربعمئة الف وثمانين الف دينار هذه من الجباية فقط ومن السوق والمستخلص سبعمائة  
الف دينار وخمس وستون الف دينار (١)

وهكذا نرى ان العرب احدثوا تطورا هائلا في حياة البلاد الاجتماعية ، فقد وجد اهل البلاد في  
الفتح يسرا وراحة لم يعهدوها من قبل ظهرت في مظاهر مختلفة من تنظيم للعيش ورفع مستواه ، الى مسكن  
ومأكل ومشرب ولهو ورفاه ، الخ . . . . . تركت جميعها اثرا واضحا في الادب الاندلسي . ولعل الناحية العمرانية  
من هذه النواحي الاجتماعية المختلفة هي التي تهمني بصورة خاصة ، لان بحثي يقوم في جوهره على الشعر  
الطبيعي الاندلسي والمطلع على التاريخ الاندلسي يرى العلاقة الوثيقة القائمة بين العمران ووصف الطبيعة  
في الشعر الاندلسي . فقد نظم الشعراء جل شعرهم في هذه المباني الضخمة والقصور الباذخة وما حوته من  
رياض وبساتين وبحيرات ونواعير . لذلك اراني مضطرا لان اتوسع في بسط هذه الناحية التي تركت اثرا بارزا في  
الشعر الاندلسي .

لقد اهتم الامراء والخلفاء والولاة وروسا الدولة بالناحية العمرانية فوسعوا المدن ، وبنوا المباني  
العظيمة والمساجد البديعة ، وشادوا القصور الفخمة ، وحاكوا بها في الجلال والعظمة قصور المشرق ، وقد  
تفننوا في هذه الابنية وبذلوا الاموال الطائلة في سبيلها ، حتى ان عبد الرحمن الناصر خصص ثلث الخزينة  
وتقدر بمئتي وخمسة واربعين الفا من الذهب للبناء والعمران (٢) . كما نرى ان عبد الرحمن الداخل مع  
انهماكه الشديد في قمع القلاقل والفتن والقضا على الفوضى التي كانت مسيطرة على الاندلس ابدى عناية خاصة  
بفتي الزراعة والعمارة وعمل على انهاضهما ، وما زال بهما حتى بلغا شأوا عظيما ، واصبحت قرطبه على عهده  
تحاكي مدينة بغداد في اتساع شوارعها وضخامة مبانيها وكثرت فيها الحمامات والفنادق ، وانتشرت البساتين  
على طول ضفة الوادي الكبير كما بنى المدارس الكثيرة وهو الذي شرع في بناء جامع قرطبه الشهير عام مائة  
وسبعين هجرية كما اخرج عليه مائة الف دينار ، وقد قيل ان هنا الجامع كان من العجائب (٣) وسيأتي ذكره  
بعد قليل .

(١) المقرئ المجلد الاول الجزء الخامس ٢٧٥

(٢) " الجزء الثالث الطبعة الجديدة ٢١٩

(٣) " الطبعة الجديدة الجزء الرابع ٣١٤-٣١٨

وها نرى ان بركان الفتن والاضطراب قد هدأ على زمن عبد الرحمن الثاني . وخيم الامن والسلام ،

واعترى الاندلس فترة سكون وهدوء فكثر فيها الاموال ، فاعتنى عبد الرحمن الثاني بمشاريع العلمية  
فشيد الجسور والمساجد والقصور (١) واقام الجنائن التي تجرى بها البحيرات الصغيرة المجلوبة من الجبال (٢)  
وكفى الناصر فخرا انه باني مدينة الزهراء فقد عرف عنه ولعه الشديد بالعمارة وتشبيده المباني والقصور  
وقد عرف عصره بالعصر الذهبي . وقد جلب الما هو ايضا الى القصور من الجبل واستدعى عرفا المهندسين  
والبنائين من كل قطر فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية . ثم اخذ في بنا المنتزهات ، فاتخذ مينا  
الناعور خارج القصور ، وساق لها الما من اعلى الجبل على بعد المسافة (٣)

وكذلك نرى ان هو لا الخلفاء والامراء والقادة والنبلاء تنافسوا في تشييد القصور وتجميلها وتزيينها  
سواء كان بتنسيق البساتين الجميلة وغرسها باندر الزهور والفاكهة او باقامة التماثيل ومنا البرك والبحيرات  
التي جاءت آية من آيات الفن والابداع .

ولقد شجع هو لا الامراء والخلفاء الادب والادبا والشعر والشعرا فكان من الطبيعي ان يهرع  
هو لا الادبا والشعرا الى البلاطات يتزلفون ويمدحون ، ويصوفون القصائد الطويلة في المدح وقصوره  
ومبانيه وحوائقه وما حوت من اطياب الاثمار والاشجار والازهار ، وهكذا اصبح الشاعر وقتا على هذه المباني  
وبساتينها وما حوته من الجمال الطبيعي الى جانب الجمال المصطنع ، فكان الشاعر بدلا من ان ينظم قصائده  
في الانهار المنسابة في الفلاة والبرارى وفي الاشجار يقف شعره على الثغني بمحاسن القصور والبساتين  
الما ذكرها .

وتظهر محبة الرحمن الداخل للعلوم والآداب في اظهاره عناية خاصة بها واكثره من عقد الاجتماعات  
الادبية والعلمية والفلسفية وبنائه للكثير من المدارس . كما ان الكثير منهم كان ينظم الشعر ، فلقد كان عهد  
الرحمن الثاني عالما فاشد ميله الى العلماء وكان ادبيا فرجع مكانة الادبا وكان عالما بالفلسفة والشرعة  
فبجل الفقهاء ومن ثم ازدحم بلاطه بالعلماء والشعرا ورجال الادب (٤)

ولقد كان هو لا الخلفاء والامراء على صواب في شدة شغفهم بالبناء ، فقد كانت الحياة في الاندلس  
تتطلب هذا . فعلاوة على التائق في البناء وال عمران كان يعود عليهم بالراحة والرفاهية ، كانت هذه الناحية  
تجذب اعجاب الناس واحترامهم لهم ذلك ان الاندلس كان يميل الى البناء العظيم الفخم ويشعر ان البناء  
العظيم يدل على عظمة الباني .

كما نرى ان الخليفة لم يكتف بتهيئة اسباب الراحة لنفسه فحسب بل شيد الجوامع والحمامات واقام  
الجسور والقلاع وبنى المنتزهات لتتوفر اسباب الراحة لشعبه . فكانوا يهرعون زرافات ووحدانا الى هذه  
المنتزهات يقضون تماراتهم بين فوارات المياه العذبة مواريج الازهار الجميلة وتحت ظلال الاشجار الوارفة .

(١) النصولي ص ٦٢ عن Jane Poole P.78 (٢) ابن خلدون الجزء الرابع ١٣٠

(٣) ابن خلدون (٤) ابن خلدون المجلد الرابع ١٣٠ - المقرئ الجزء الاول ١٦٢

وقد سئل احد الولاة مرة ، كيف تانقت في بنيان هذا القصر مع انحرافك عن اهل قرطبه ، فقال علمت انهم لا يذكرون واليا بعد عزله ولا له عندهم قدر فاخبيت ان يبقى لي في بلادهم اثر اذ كرهه على رقهم (١) وقال صاحب النفع " واعلم ان المباني دالة على عظمة قدر بانيتها " . ولم يزل البلغاء يصفون المباني باحسن الالفاظ والمعاني ، ومن ذلك قول ابن حمديس الصقلي في دار بناها المعتمد " (٢)

وفي هذا المعنى قال منذر ابن سعيد الشاعر عندما دخل على الناصر وهو منهمك في الاشتغال بالبنيان :

هم الملوك اذا ارادوا نكرها      من بعدهم فبالسن البنيان  
او ما ترى الهرمين قد يقيسواكم      ملك محاه حوادث الازمان  
ان البناء اذا تعاضم شأنه      اضحى يدل على عظيم الشأن (٣)

هذه هي نظرة الاندلسي الى البنيان فعظمة البناء تدل على عظمة الباني ، كما ان البناء يخلد بانيه .

وهكذا فقد تفنن الاندلسيون بالبناء فاستعملوا المواد المختلفة كالجبير والجص (٤) والرخام الذي فيه الابيض الناصع اللون والخمرى الغريب الشكل ومنه ما هو موسى في حمرة وصفرة ومنه الحالك والمجذع (٥) واما الوردى والاخضر فكانوا ياتون به من افريقيا (٦) واستخدموا الرصاص في القنوات والذهب الابريز والفضة الخالصة والنحاس المحول (٧) وكانت القرامد مذهبة او مفضضة واستخدموا العاج والابانوس المرصع بالذهب واصناف الجواهر (٨) والصخر المنحوت المعدل والصخر والاجر غير المعدل (٩) والبلور الصافي (١٠) والفخار المزجج (١١) واستخدموا المرمر المسنن والحديد (١٢) واستعملوا نوعا من الرخام الصقيل المعروف بالملوكي (١٣)

(١) المقرئ المجلد الاول الجزء الرابع ١٢٩	(٢) المقرئ المجلد الاول الجزء الرابع ١٢٨ - ١٢٩
(٣) " الطبعة الاميرية الجزء الاول ٢٦٩	(٤) " الطبعة الاميرية " الاول ٢٦٩
(٥) " " " " " " ٩٥	(٦) " " " " " " ٢٥٠
(٧) " " " " " " ٢١٩	(٨) نفع الطيب الاميرية " " " " ٢٥٠
(٩) نفع الطيب الاميرية " " " " ٢٤٩	(١٠) " " " " " " ٢٥٠
(١١) " " " " " " ٩٥	(١٢) " " " " " " ٢٦٩
(١٣) " " " " " الثاني ٧٩٤	



ونرى ايضا ان الخلفاء والامراء لم يقصروا همتهم على القصور والحدائق وتوفير الراحة لانفسهم فقط بل اهتموا بالمدينة وتوسيعها وتجميلها لكي يضمنوا الراحة لشعبهم فقد كانت الشوارع متسعة والمباني مرتفعة وضخمة والديار فسيحة كبيرة (١) اما المياه فكانت توزع داخل المدينة بطرق هندسية فنية على البيوت والاسواق والحمامات والارباب الداخلية والخارجية ، والبساتين كما حدث في غرناطة التي سميت بدمشق الشام (٢) وهذه المياه تتوزع بواسطة قنوات من الرصاص تقام على حنايا تودئها الى القصور والبحيرات والبرك والاحواض والصحارج (٣) ولكي نعطي صورة واضحة عن هذه المدن الاندلسية ، وتنسيقها وعمرانها من مباني وقصور ومساجد ، اجد ان اتكلم عن بعض مدنها الشهيرة مثل قرطبة والزهراء .

قرطبة

تقع قرطبة في سهل خصب واسع على سفح جبال سيرا مورينا بحيث تؤلف مدرجا بشكل نصف دائرة على الشاطئ الايمن لنهر الوادي الكبير (٤) وقد وصف بعضهم قرطبة قائلا : " قرطبة من الاندلس بمثابة الرأس من الجسد ، نهرها احسن الانهار مكتنف بديباج المروج مطرز بالازهار ، تصدح في جنباته الاطيار بوتنعر النواعير ، وببسم النوار وقرطها الزاهرة والزهراء حاضرتنا الطك واقفاه النعما والسراء " (٥) وقال آخر : " جوفها شمام وغريبها قمام ، وقبلتها منام ، والجنة هي والسلام " (٦) ويعني بالشمام جبال الورد ، ويقام ما يؤكل هو المدام النهر . ديارها فسيحة كبيرة ، شوارعها متسعة مبانيها ضخمة مشيدة ، هواؤها معتدل ، ونهرها جار عذب ، كثيرة الاشجار والرياض (٧) عديدة السكان ، فسيحة الاسواق نظيفة (٨)

(١) المقرئ المجلد الاول الجزء الاول ٣٠٣ - الطبعة الاميرية ٢١٧  
 (٢) \* الطبعة الاميرية \* الثاني ٧٩٣  
 (٣) \* \* \* \* \* الاول ٢١٩  
 (٤) امير سيد علي - مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي  
 (٥) المقرئ المجلد الاول الجزء الاول ٣٠٢  
 (٦) \* \* \* \* \* ٣٠٣  
 (٧) \* \* \* \* \* ٣٠٤  
 (٨) \* \* \* \* \* الرابع ١١٣

لقد تفنن ملوك العرب بتجميل قرطبه وتوسيعها فعمل عبد الرحمن الداخل على تعظيمها فجدد مغانيها وشيد مبانيها وحصنها بالسور وابتنى قصر الامارة والمسجد الجامع ووسع فناه واصلى مساجد الكور . ثم ابتنى مدينة الرصافة منزها له واتخذ بها قصرا حسنا وجنانا واسعة نقل اليها فرائب الغراس وكرائم الشجر من بلاد الشام وغيرها من الاقطار (١)

وقد جاء في النسخ ان دور مدينة قرطبه بلغت الثلاثين الف ذراع (٢) ودور قصر امارتها الف ذراع ومائة (٣) وهدد ارياضها واحدا وعشرين في كل ريش فيها من المساجد والاسواق والحمامات ما يقوم باهله ولا يحتاجون لغيره (٤) كما ان بخارج قرطبه ثلاثة آلاف قرية (٥)

وليس ادل على عظمة قرطبه وفخامتها في تلك الايام من قول بعض مؤرخي العصر " بان المسافر يستطيع ان يسير عشرة اميال في طريقها على ضوء المصابيح " ويقول كاتب آخر ان المدينة امتدت ٢٤ ميلا طولا و ٦ اميال عرضا وكانت كل هذه المساحة زاخرة بالقصور والجوامع والمنازل والحدائق على ضفاف الوادي الكبير كما كانت ضواحيها مقسمة الى ٢٧ حيا يسكنها افراد الطبقة الغنية ورجال الدولة وكان لكل حي جوامعه واسواقه وحماماته و

وجلبت المياه من الجبل ووزعت في المدينة ، ان كان اول عمل قام به الحكم عند توليته الملك اقامة القناة التي تحمل الماء العذب من جبل قرطبه الى المدينة وقد زاد خلفاؤه عدد تلك القنوات و فاجروا المياه العذبة في قنوات نحاسية في كل ساحة من ساحات البلد وكانت الاحواض والصحاريح مصنوعة من المرمر المنقوش او من النحاس المسوه كما كانت في بعض القصور تصنع من الذهب الابرز او الفضة . وقد اقيم العرب بروجية المياه تجرى على مختلف الاشكال والانواع ولهذا انشئت حول القصور حدائق فنا رياض انيقة تجرى من تحتها الجداول العذبة كما شيد عبد الرحمن الثالث قناة عظيمة تجرى فيها المياه العذبة المجاور الى المدينة على حنايا معقودة ينساب ماؤها الى بحيرة عظيمة وقد اقيم عليها اسد عظيم الصورة ، يدبغ الصنع شديد الروعة مطلي بالذهب وحينئذ جوهرتان نفستان فيها وميض عجيب . يجوز الماء الى عجز هذا الاسد فيدفعه الى البحيرة ، وبجانبه تمثال لانسان هائل يصب الماء على الاسد ومن ثم يتحول الماء الزائد الى النهر بعد ان تنال المدينة كفايتها ، وتسقى الحدائق والجنان (٦)

(١)	المقرى	الطبعة الجديدة	الجزء الخامس	٧
(٢)	"	"	"	١٠٢
(٣)	"	"	"	١٠٣
(٤)	"	"	"	١٠٣
(٥)	"	"	"	١٠٣
(٦)	"	"	"	٥٤

ولا ننس ونحن بصدد قرطبه حديقة الرصافة التي بناها عبد الرحمن الاول والتي اصبحت  
انموذجا في كافة امالك اوربا المتمدنة ، ان كانت تزخر بالزهور النادرة والاشجار الوارفة التي كانت  
تجلب اليها من سائر انحاء العالم وما زاد في رونق وبها تلك الحديقة الغناء القصر المنيف الدارس  
الذي كان يطل عليها .

ومن عجائب قرطبه ايضا مسجدها الشهير الذي بناها الداخل ، واتمه هشام الاول ، وجعله  
الناصر ، فجا آية في الفن والابداع . وقد انفق الحكم في زيادة هذا الجامع مائة الف وواحدا وستين  
الف دينار ونيفا وكله من الاخماس (١) وعندما شرع عبد الرحمن الداخل في بنائه سنة ١٧٠ هجرية  
اخرج عليه مائة الف دينار وقد قيل ان هذا الجامع كان من العجائب مومن عجائبه احتواؤه نحو ثلثمائة  
وستين طاقا على عدد ايام السنة يتدخل الشمس كل يوم من طاق الى ان يتم الدور ثم تعود (٢)  
وقد قيل ايضا ان فيه تنورا من نحاس اصفر يحمل الفاصباح (٣) اما باب مقصورة الجامع فكان من الذهب  
وكذلك جوار المحاور وما يليه وقد اجرى فيه الذهب على الفسيفساء ، وثرى بالمقصورة فضة محض وارتفاع  
الصومعة ثلاثة وسبعون ذراعا الى اعلى القبة المتفحة التي يستديرها الموزن وفي رأس هذه القبة  
تفانيع ذهب وفضة ، ودور كل تفاحة ثلاثة اشبار ونصف ، فائنتان من التفانيع ذهب ابريز وواحدة فضة  
وتحت كل واحدة منها وفوقها سوسنة قد هندست بابداع صنعة ، وقد وضع على رأس النج رمانة ذهب  
صغيرة وهي احدى غرائب الارض (٤) وهكذا نرى ان اهل الاندلس جعلوا زينة مساجدهم على اشكال  
الفاكهة والزهور .

وكان عدد سوارى الجامع الحاملة لسماه واللاصقة بجانبه وقبابه ومناره بين كبيرة وصغيرة  
الف واربعمائة وسبعة عشر سارية ، وقيل اكثر (٥) وعدد ثريات الجامع ما بين كبيرة وصغيرة مائتان  
وثمانون ثريا ، وعدد الكؤوس سبعة آلاف كأس واربعمائة وخمسة وعشرون كأسا . وزنة مشاكي الرصاص  
للكؤوس المذكورة عشرة ارباع ، وزنة ما يحتاج اليه من الكتان للفتائل في كل شهر رمضان ثلاثة ارباع  
القطار ، وجميع ما يحتاج اليه الجامع من الزيت في السنة خمسمائة ريع ، وما كان يختص به في شهر  
رمضان ثلاثة قناظير من الشمع وثلاثة ارباع القنطار من الكتان المقطر (٦)

(٣) المقرئ الطبعة الجديدة الجزء الخامس ٧

(٤) المقرئ الطبعة الجديدة الجزء الخامس ١١

(٥) " " " " " ١٤

(٦) " " " " " ١٤-١٥-١٦

وفي هذا الجامع من النقوش والرسوم ما لا يقدر احد على وصفه ، ومقبلته صناعات تدهش العقول  
وفي عضادى (ناحيته) المحراب اربعة اعمدة اثنان اخضران ، واثنان لازورد يان ليس لها قيمة لنفاستها  
وبه منبر نفيس خشبه ساچ و آبنوس ويقم وعود قاقلي . وفيه حاصل كبير ملاّن من آتية الذهب والفضة لاجل  
الوقود ، وللجامع عشرون بابا صفحات بالنحاس الاندلسي مخرمة تخريما عجيبا يعجز البشر وببهرهم (١)  
وما هو جدير بالذكر ان النساء كن يذهبن ايضا للجامع للصلاة وقد خصص لهن اماكن ومقصورات منفردة (٢)

## الزهراء

بنى هذه المدينة العجيبة الخليفة الناصر بنا على طلب جارته المحببة اليه الزهراء ، اذ قالت  
له يوما اشتيمت لو بنيت لي مدينة تسميها باسمي وتكون خاصة لي فليس طلبها ويناها تحت جبل العروس  
وهي على نحو اربعة اميال من قرطبه وجعلها هناك مستنزاها ومسكنا للزهراء وحاشيته وارياب الدولة ونقش  
صورتها على الباب ولما قعدت الزهرة في مجلسها نظرت الى بياض المدينة وحسنها في حجر ذلك الجبل  
الاسود فقالت : الا ترى حسن هذه الجارية الحسناء في حجر ذلك الزنجي ، فامر الناصر بزوال ذلك  
الجبل فقال بعض جلسائه : ايذ امير المؤمنين ان يخطر له ما يشين العقل سماعه فلو اجتمع الخلق ما  
ازالوه صقرا ولا قطعاه ولا يزيله الا من خلقه . فامر بقطع شجره وفرسه تينا ولوزا ولم يكن منظر احسن  
منها ولا سيما في ازمان الازهار وتفتح الاشجار وهي بين الجبل والسهل (٣)

ويجب ان لا نستغرب ذلك من الناصر حتى ولا ازالة الجبل فقد كان كلفا بعمارة الارض  
واقامة معالمها واستتباط مياهها واستجلابها من ابعد بقاعها وتخليد الآثار الدالة على قوة الطك وهزة  
السلطان وعلو الهمة فاقضى به الاغراق في ذلك الى ان يبذل الاموال الطائلة لبنا مدينة الزهراء (٤)  
وهو الذي خصص ثلث الخزينة لبنا الزهراء وكانت الجباية تقدر بخمسة آلاف دينار واربعمائة الف  
وثمانين الف دينار ومن السوق والمستخلص سبعمائة الف دينار وخمسة وستون الف دينار (٥) واتصل  
بنيان الزهراء ايام الناصر خسا وعشرين سنة شطر خلافته ، ثم اتصل بعد وفاته خلافة ابنه الحكم كلها  
وكانت خمسة عشر عاما واشهرها (٦)

(١) المقرئ المجلد الاول الجزء الخامس ٤١ - ٤٢

(٢) " " " " " " ١٦

(٣) " " " " " " الرابع ٢٧٤

(٤) " " " " " " الخامس ٦٦

(٥) " " " " " " الرابع ٢٧٥

(٦) " " " " " " الخامس ٦٥

وسوف لا نستكثر هذه الاموال الطائلة التي صرفت في بناء الزهراء انا علمنا انه كان يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم من الخدم والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب الف وخسمائة دابة وكان من الرجال من له درهم ونصف ومن له الدرهمان والثلاثة ، وكان يصرف فيها كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الآجر والصخر الغير معدل (١) وكان عدد الفتيان بالزهراء ثلاثة عشر الفا وسبعمائة وخمسين فتى ودخالتهم من اللحم كل يوم حاشا انواع الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان ثلاثة عشر الف رطل ، وهدية النساء بقصر الزهراء الصغار والكبار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلثمائة واربع عشرة امرأة (٢) والمرتب من الخبز لحيتان البهيوة بحيرة الزهراء اثنا عشر الف خبزة كل يوم ، وينفق لها من الحمص الاسود ستة اقفة كل يوم (٣) وقدرت الخدمة في الزهراء في كل عام بثلثمائة الف دينار مدة خمسة وعشرين عاما (٤)

والزهراء مصنوعة من المرمر الخالص الابيض والاخضر والوردي والمجنز الذي حمل الى قرطبه من سائر انحاء العالم . واحواضها منقوشة بالذهب الغريب الشكل الغالي القيمة ، وفيها حوض صغير اخضر منقوش بتماثيل الانسان جلب من الشام وقيل لا قيمة له لفرط غرابته وجماله ، وقد نصبه الناصر في بيت المنام في المجلس الشرقي المعروف بالمونس ، وجعل عليه اثني عشر تمثالا من الذهب الاحمر مرصعة بالدر النفيس الغالي مما عمل بدار الصناعة بقرطبه وقد نصب عليه صورة اسد والى جانبه فزال الى جانبه تصاح وفيما يقابله شعبان ، وعقاب وفيل وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطاووس ، ودجاجة وديك وصدأة ونسر ، وكل ذلك من ذهب مرصع بالجوهر النفيس ويخرج الماء من افواهها وكان المتولي لهذا البناء ابنه الحكم لان الناصر لم يتكلم على احد غيره (٥) وللزهراء وابنتيها مقام سام عند الشعراء الاندلسيين ، والآن بقي علينا ان نقول كلمة في " قصر الخلافة " بالزهراء الذي هو ايضا آية من آيات الفن والابداع . فقد كان سمكه من الذهب والرخام النظيف في جرمه ، الصافي لونه والمملونة اجناسه وقد عملت حيطانه على هذا الشكل وجعلت في وسطه اليتيمة التي اهداها اليه ملك القسطنطينية . وكان فتح قرامد هذا القصر من الذهب والفضة كما اقيم في وسط هذا المجلس صهريج عظيم مملوء بالنزيبق ، واقيم على كل جانب من جوانب المجلس ثمانية ابواب قد انعقدت على حنايا من العاج والابنوس المرصع بالذهب واصناف الجواهر قامت على سوار من الرخام الملون والبلور

(١)	المقرى	المجلد	الاول	الجزء	الاول	الرقم
(٢)	"	"	"	"	الخامس	٥٩
(٣)	"	"	"	"	"	٥٩
(٤)	"	"	"	"	"	٦٢
(٥)	"	"	"	"	"	٦٤

الصافي وكانت الشمس تدخل على تلك الابواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطانه فيحدث من جراء ذلك نور يخطف الابصار وكان الناصر اذا اراد ان يفتزع احدا من اهل مجلسه او يأت الى احد صقالبته فيحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كلمعان البرق من النور فيأخذ بمجامع القلوب حتى ليخيل لكل من في المجلس ان المحمل قد طار بهم ما دام الزئبق يتحرك (١) \* وهذا المجلس لم يتقدم لاحد بناؤه في الجاهلية ولا في الاسلام وانما تهيأ له لكثرة الزئبق عندهم \* وكان بناؤه الزاهرة في غاية الاتقان والحسن \* وبها من المرمر والذهب والعمد كثير \* واجرى فيها المياه واحدى بها البساتين (٢)

هذه نظرة عامة خاطفة للتقدم العمراني في البلاد الاندلسية لم نر الاستمنا عنها لما

لها من اثر هام في شعر الطبيعة في الاندلسي \*

---

(١) المقري المجلد الاول الجزء الرابع ٢٨٢

(٢) \* \* \* \* \* ٢٨٢

## الفصل الثاني

### الطبيعة في الشعر الأندلسي

#### نظرة عامة في الشعر الأندلسي

رأينا في الفصل السابق كيف دخل العرب إلى الأندلس ووطدوا حكمهم فيها ونرى في هذا الفصل أن هؤلاء العرب الفاتحين جاءوا بشعرهم وأدبهم ولغتهم من المشرق فساعدهم ذلك على إيجاد نهضة أدبية خاصة نمت وتفرعت على مر الزمن - ولا يستطيع المؤرخ أن يتجاهل هذه النهضة الأدبية الخاصة وأن جاءت في كثيرها الساحقة متأثرة بغطى الشعر المشرقي كما سنرى .

لقد طرق الشعر الأندلسي في موضوعاته جميع الأبواب التي طرقها شعر المشاركة في بغداد والشام فاشتمر في المدح ابن هاني ، وابن عبد ربه ، وأحمد ابن شهيد ، وابن زيدون وابن حمديس ، وابن الحداد ، وابن عيود ، وابن الخطيب وابن زمرك . وفي الرثاء : ابن اللبان ، وابن عيود ، وأبو البقاء الرندي وفي التشكي وذم الدهر ، المعتد بن عباد ، وابن اللبان .

وفي الهجاء : أبو بكر المخزومي الأعشى شاعر غرناطة - وولادة بنت المستكفي ولكن هذا الفن ضعيفا في الأندلس .

وفي الفخر والحماسة ابن وهبون ونفر قليل غيره لا يعتمد بهم لأنهم لم يكونوا مشهورين . وفي الحكم ابن هاني وابن زيدون وابن وهبون . وفي الوصف أكثر الشعراء الذين تقدم ذكرهم وقد اجدوا في هذا اللون الشعري حتى أنهم فاقوا المشاركة في كثير منه . وفي الخزل : أبو عمار ابن شهيد ، والرمادي والرفاء ، وابن الحداد وابن خفاجة وابن زيدون . وفي الطبيعة والعمارة نبغ شعراء كثيرون سنأتي على ذكرهم بشيء من التفصيل فيما بعد . وهكذا نرى أن شعراء الأندلس طرقوا جميع الأبواب الشعرية التي عرفها قبلهم شعراء المشرق فهم لم يجدوا من هذه الناحية ولم يتناولوا مواضيع جديدة مبتكرة لم يطرقها قبلهم المشاركة ونحن أن نطمئن إلى القول بأنهم كانوا مقلدين لشعر المشرق في جميع الموضوعات إلا في الموشحات والأزجال . وإذا كان هناك من اختلاف بين شعرهم وشعر المشرق ففي الصور والمزايمة الفنية الأدبية لا في الجوهر ولا في الموضوع ، واليك أهم المزايمة الفنية في شعرهم : يلاحظ أولا أن هذا الشعر الأندلسي ينسج على منوال الشعر المشرقي في موضوعاته وفي أساليبه . فجميع هذه المواضيع المذكورة عرفها المشاركة وطرقوها في أشعارهم قبل أن تصل إلى الأندلسيين ، وإذا كان هنالك باب جديد في الشعر لم يعرفه المشاركة معرفة صحيحة

## فهو باب الموشحات والازجال .

لم تختلف مزايما الشعر الاتدلسي ههنا في الشعر المشرقي اختلافا بينا فهم  
يلزمون الاسلوب البقديم من حيث الاستملال ، وحسن التخلص والتزام الغزل في قوائدهم  
المدحية .

ولقد تناولوا في اوصافهم ما تناوله قبلهم المشاركة من فلاة ونياق ووادى  
واغراس . وفي مدحهم بعض التعلق والاستحطاف كما هي الحال في كثير من شعر المشرق  
وما نقوله في الشعر المدحي نقوله في غيره من الالوان الشعرية ، فشعرهم  
الراثي ينسج على المنوال والاسلوب الذي نسج عليه المشاركة ولكننا نلاحظ ان الاتدلسيين  
عضوا برثاء المدن والبلدان وذكر الاحداث التي نزلت بالامم الخالية فابادتها وقوضت عروش  
اسيادها . وبهذا قد يخرجون عن الاسلوب المشرقي . نذكر كمثال على هذا ثوبية الرندي  
ودالية ابن اللبان وفيها يرثي دولة بني عباد .

وغزلهم يختلف بين الغزل البدوي والغزل الحضري وفيه كثير من التقليد  
والتكلف والفحش والمجون . اما موضوعاتهم الغزلية التي وضووها فلا تخرج عما عرفه  
المشاركة . فلقد وصفوا اعضاء الجسم عضوا واكلوا من التشاييه الطالوقة المعروفة  
وتدللوا امام الحبيب وتعبدوا له وهظموه واجلوه .

والشعر الاتدلسي سواء كان في المدح او في الغزل في الرثاء او في الخمر  
والمجون تسيطر عليه مهمة الرقة والمهيلة التي لا تلتصق لها اثر في الشعر المشرقي .  
وهذه المهيلة وهذه الرقة تبدو في الالفاظ وفي المعاني . وهما نحاول ان  
نفتش عن معنى مبتكر طرقة الاتدلسيون لم يعرفه المشاركة قبلهم . بل عبثا نفتش عن معنى  
عميق ، غريب في شعرهم كما هي الحال في معاني ابي تمام والمعتني مثلا .

ولا بد لنا ونحن نذكر مزايما الشعر الاتدلسي ، ونقارن بينه وبين الشعر المشرقي  
من القبل ان اولي الشان في الاتدلس من امراء وهلفاء ، وحكام وسلاطين كانوا معجبين  
بالشعر والشعراء اعجابا كبيرا ، يقربونهم اليهم ويذلون لهم الاعطيات والهدايا كما كانت الحال  
في المشرق ، مما عزز الادب والشعر وكان الباعث على انهماهما وتقديمها .

لم تكن لغة الاتدلسيين في شعرهم محكمة كلغة المشاركة وذلك لابتعادهم عن  
الوطن الام ولاحتكاكهم بشعوب جديدة اجنبية عنهم ، خاصة وان الجيل العربي الجديد الذي  
نشأ في الاتدلس لم يكن عربيا خالصا فنظم شعراءه الشعر بلغة عربية غير صافية .

هذه بعض المزايما الهامة في الشعر الاتدلسي ذكرتها وانا طامدة الا اطيل  
البحث فيها واضرب الامثلة عليها خوفا من الاطالة والخروج عن المطلوب لا سيما وان البحث  
يجب ان يكون في شعر الطبيعة في الاتدلس ما سنراه فضلا في الباب الاتي .



## ٢ - شعراء الطبيعة في الاندلس

قال الاندلسيون الشعر في مواضع شتى ونظموه في ابواب مختلفة كطبيعتهم ولكن اذا شئت ان تلمس ابداعهم وبراعة وصفهم ، ودقة تصويرهم ورقة احساسهم ، وشدة افتتانهم وحلاوة معانيهم وخصب خيالهم فاسمعهم في ذكر بلادهم الجميلة ووصف مفااتها ، اسمهم يصفون اطيافها واشجارها ، جداولها وانهارها ، نجومها واقطارها ، غيومها وامطارها ، قصورها وحدائقها ، بركها ودوايقها بصورها وتمثيلها نقوشها وط الى ذلك من اسباب عمرانها . وما كان شعرهم الا اللوانا متعازجة انيقة من خضرة الاشجار وحمرة الاثمار ، وبياض الحباب ، وصفرة الشمس ، وذهب الاصيل ولجين الماء وزرقة السماء .

وما كان شعرهم الا موسيقى عذبة لنشيد المعنى ، ووقع الريب ، وهديل الحمام ، ورنين الكاء وخرير الماء ،

وما كان شعرهم الا نسيم الروضة الفيحاء ، وارجح الازهار البيضاء ، وعبق الورود الحمراء .

وما كانت طبيعتهم الا طبيعة القضب الطائسة والظير الساجدة والارض الكاسية .

كان للطبيعة في نفس الشاعر الرقيق العرف الحسائر ، وكان للطبيعة في شعره ظنن ، وكان للطبيعة في جميع اغراضه التي قال فيها الشعر والابواب التي طرقها ذكر . فالطبيعة الفه الحميم وتوأم روحه ، كيف لا وهي مهبط وحيه . فالى ظلالها يسكن وبين محاسنها يهيم ، وبين مهادجها يقضي اعذب اوقاته مع الحبيب او في ارتشاف الخمر . ولذلك فللطبيعة ذكريات في قلبه وللطبيعة انطباعات في حسه ، ولذلك فهو يذكرها دائما ويظل يلتفت الى ماضي اوقاته بين احضانها بحنين عذب وكم يتحنن لو تعود تلك الايام تاتيه . فلا غروان يكون اذا للطبيعة في نفسه مكان رفيع ولا غروان يظل الاندلس ذلك الصقع الجميل الذي له الطف اثر واجمل وقع في نفوس ابنائه ماثلا لاهل الاندلسي اينما حل واينما سار فهي قبلته وكعبته ، فاليها يحن واليها يتشوق ، وحبها في دماءه يجرى حارا فجمالها فوق كل جملد وصرانها دونه كل صرمان . ويظهر ذلك جليا في ابيات ابن خفاجة المشهور :

يا اهل اندلس لله دركم ما وظل وانهار واشجار  
ما جنة الخلد الا في دياركم ولو تخيرت هذا كنت اختار  
لا تختشوا حدنا ان تدخلوا مقرا فليس تدخل بعد الجنة النار (١)

ولكي يسهل علينا البحث وتفتح أعين القارئ نأخذ منه صورة جلية واضحة نقسم  
شعر الطبيعة في الأندلس إلى عناصر مختلفة تناولها الشعراء فوصفوها عنصرا عنصرا  
أهمها ما يلي :

١ - الخضراء

٠ أ الرياض والحدائق

٠ ب - الورد والرياحين

٢ - غراس الفاكهة وسواها

ب - المنتزهات

٢ - الماء

٠ أ الجداول والقدرة

٠ ب البحيرات والبحار

٠ ج الأحواض والنواعير

٣ - الجبال والوديان

٠ أ الجبال

٠ ب الوديان

٤ - في الطير والحيوان والسموم

ما جنة الخلد الا في دياركم ولو تخيرت هذا كت اختار (١)

نعم لقد كانت الاندلس في ذلك اللعين جنة الله في ارضه ، فلقد حباها الله بالقسط الاوفر من اعتدال مناخ ورقة هواه و لطافة جو . فقاها الغمام من دموعه فسي اكثر ايام السنة فتفجرت ارضها بالارض الفيضة والجداول الرقراقة والينابيع العائرة ، والعيون الناضحة وانسابت الوديان تشق طريقها لا مهالية تاركة وراءها سهولا ربا حيث نهبت الاعشاب والازهار وامتدت البساتين والرياحين فاصبحت تلك البقاع وكأنها حديقة واحدة واسعة الارجاء تعمق فيها مختلف الازهار وتنتصب فيها اشجار ندية الاغصان .

وقال بعض الادباء في ذلك ان النصارى حرموا جنة الآخري . فاعطاهم الله جنة الدنيا

بستانا متصلا من البحر المحيط بالاندلس الى خليج القسطنطينية \* (٢)

ولم يكف اهلها بهذا القسط من الجمال الطبيعي بل عمت يد الانسان في التنسيق والتنظيم وتسابق الامراء والخلفاء في هذا الضمار فاقاموا الجسور وشيدوا القصور وبنوا المدن وخططوا الرياض والبساتين وفرسوا بها الاشجار والازهار والرياحين واسالوا مياه الانهار والجداول ، واقاموا البرك الجميلة والبحيرات الواسعة كما فعل عبد الرحمن الداخل (٣) الذي بنى القصور الفخيمة وبنى راسها قصر الرصافة ، ودق الجنان الواسعة ونقل اليها غرائب واكلام الشجر من كل ناحية واصبحت حديقة الرصافة انموذجا في كافة ممالك اوربي . ان كانت تزخر بالزهر النادرة والاشجار الوارفة التي كانت تجلب اليها من سائر انحاء العالم ، واصبحت الوديان ملاءى بالاحراج النضرة الكثيفة وامتلاءت مدن الاندلس بالدور الجميلة والقصور الانيقة العنيفة تحيق بها الحدائق المسوجة باعرائش الزاخرة باشجار الفاخرة كالبهترقال والليمون والطرنج والآس واللوز والخمائل الناضرة ذات الشذى العظري ، وانسابت فيها العدران الصافية ، وقد سحطت الشوارع النوافير والفوارات الجميلة التي انبثقت منها المياه على اشكال مختلفة تبعث في النفس الغبطة والسرور وطيب الجو هبوب النسيم المعطر بشذى الورد والرياحين فانعش القلب واحيا النفوس .

(١) ابن خفاجه الديوان

(٢) النسخ المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ٢٧٣

(٣) المقرئ النسخ الطبعة الجديدة الجزء الرابع

أوضاع بديعة وساتين رائقة وجنات لا نظير لها في اعتدال الهواء وهدوية الماء  
هكذا أصبحت الأندلس في أيام استتب فيها الأمن على يد العرب الفاتحين فتعددت  
خيراتها ووددت قلوبها . وما يدل على شدة اعتناء العرب بتحسين الأندلس وترقيتها ما  
قاله ابن سعيد \* وما اختصت به الأندلس أن نراها في نهاية من الجبال لتصنع أهلها  
في أوضاعها وتبييضها لثلاثا تتبوا العميون منها (١) \* فهي كما قال الوزير ابن الحماره  
فيها

لاحت قراها بين خضرة أيكها كالدريين زرجد مكنون (٢)

واليك ما جاء في الأحاطة في وصف غرناطة وحدائقها وساتينها . \* فالجبال الشاهقة  
والسفوح العريضة والبطن المستدة والأغوار الخافتة مكللة بالأضباب قاصة بالأدواح متزاحمة  
باليوت والأبراج (٣) . وتركب ما ارتفع من هذه المدينة من جهاتها الثلاث الكرم البديعة طوقا  
مرفوما يتصل بها وراها من الجبال فتشم الربا والوهاد وتشم الغور والتجد إلا ما اختص  
منها بالسبل الأنح متصل بشرفي باب البيرة إلى الخندق العميق . وكان يتخلل المباني الشمال  
والزيتون وسائر أدوات الفواكه من اللوز والأجاص والكوشى محدقة بالكرم المسيجة والرياض  
الملتفة بحور ظامية كثيرة المياه . ففيها الكثير من البساتين والرياض والحصون والأسلاك  
المتصلة (٤) . \*

وتحف بغرناطة البساتين العريضة والأدواح الملتفة فيصير سورها من خلف ذلك

كانه من دون سياج :

بلد تحف به الرياض كأنه وجه جميل والرياض عذاره

وكانا واديه معصم قادة ومن الجسور الحكمت سواره (٥)

وهكذا قل في قرطبة وأشبيلية وغيرها من المدن الأندلسيين الجميلة .

وهكذا الأدياء والشعراء وجدوا المجال وأسما أمامهم فانبثقت مواهبهم وفاضت  
قرائحهم يغذيها الجمال الخلاب، ونميها السحر الحلال وأصبحت هذه الحدائق وهذه  
الجنات شغلهم الشاغل فهم إذا ومدحوا شهبوا ومدحهم بالروضة الغناء يجب فيها النسيم  
المليل . فيها ابن خفاجة يمدح قاضي القضاة قائلا :

يا نشر عرف الروضة الغناء ونسيم ظل السرحة العينا

هذا يجب مع الأصيل عن الربا أرجا وذلك من قدير الماء

عوجا على قاضي القضاة غديّة في نسي زهر أو حلى انداء (٦)

(١) النسخ المجلد الأول الجزء الثاني الطبعة الجديدة ٧٦

(٢) ٧٦

(٣) الأحاطة في أخبار غرناطة القسم الأول ٣٠ (٤) الأحاطة في أخبار غرناطة القسم الأول ٢٧

(٥) ديوان ابن خفاجة ١١ (٦) ديوان ابن خفاجة ١١

وقال في مكان آخر يمدح ايضاً :

اما والتفات الورد عن أزرق النهر  
وقد سمت ربح الندامى فنبهت  
واشراق جيد الغصن في حلية الزهر  
عيون الندامى تحت رحانة الفجر (١)

وقال ابن عمار يمدح المعتضد في رائيته المشهورة :

روض كان النهر فيه معصم  
وتهزه ربح الصبا فتخاله  
صاف اطل على رداء اخضرا  
سيف ابن عباد يبدد عسكرا  
عباد المخضرنائل كفه  
والجو قد لبس الرداء الاغنيا

اندى على الاكباد من قطر الندى والذ في الاجفان من سنة الكرى (٢)  
واذا ما تغزلوا صاغوا من الورد خدودا ومن النرجس عيونا ومن الاس اصداقا ومن السفرجل نهودا  
ومن قصب السكر قدودا، ومن قلوب الجوز وسرر التفاح مباسم ومن ابنة العنب رضاها (٣)

وليل بحمين الدمع وصلا قطعته  
ترى الحسن مشور اللوا يسره  
وانجمه بين النجوم سعود  
وظل الاماني في رياء مديد  
لدينا ومن روض الرياض خدود  
ورماننا وسط الرياض نهود (٤)

وقال آخر :

لولا حيائي من عيون النرجس  
ورشفت من ثغرا الاقاحة ريقها  
للمت خد الورد بين السندس  
وضمت اعطاف الغصون الميسس  
ولهاقلا تلحظ بطرف اشوس (٥)

واكثروا من تشبيه الحميب بانواع الرياحين والرياض والبساتين وربما قالوا في ذلك حتى يجعلوا من  
محبوبهم روضة مختلفة الازهار والالوان من ذلك قول ابن خفاجه :

تندى بفيه اقحوانسة اجرع  
وتيس في اثوابه رحانة  
قد فازلتها الشمس فب سما  
كرهن على ظمأ بجدول ماء  
حذر النوى خفاقة الانبياء (٦)

وفي هذا المعنى قول احد الاندلسيين :

عصوات الصباح فقسوه خدودا  
ورأوا حصى الياقوت دون نحوهم  
حتى استعاروا اعينا وخدودا  
لم يكفهم حد الاسنة والظبي

(١) ديوان ابن خفاجه ١١ (٢) ديوان ابن خفاجه ٤٩  
نفع الطيب المجلد الخامس الطبعة الجديدة ٣٠٨  
(٣) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢١٠ (٤) الاحاطة القسم الاول ٢٩  
(٥) " " " " ١٢٠  
(٦) ديوان ابن خفاجه

وتشير الطبيعة في نفس ابن زيدون شاعر الحب والجمال معاني الهوى ، وتحرك لواعجه ويرى الهوى في طلوع النجوم ، والنوى في هبوب النسيم .

الهوى في طلوع تلك النجوم والنوى في هبوب ذلك النسيم (١)  
فالتبيعة والحبيب في نظرا بن زيدون متشابهان فغرفته تذكر بالشمس وانفاسه بالرياحين  
شخصي يذكرني فاه وغرفته شمس النهار وانفاسه الرياحين (٢)

والحبيب عنده شمس تطلع من نقاب ، بل غصن بان يرسل في وشاح ؛  
رايت الشمس تطلع من نقاب وغصن البان يرسل في وشاح (٣)  
بل ان الحبيب لاجمل من البدر وابهى ولوانه بات عنده لما تطلع الى بدر السماء  
يا ليل ظل ، لا انتسى الا يوصل قصرك  
لو بات عندي قموى ما بت ارضي قمرك (٤)

ومن ابداع واروع ما قيل في فتنة الطبيعة في ظلال الحب قوله يتشرف الى حبيبته ولادة ابنة المستكفي :

انني ذكرتك بالزهراء مشتاقا والافق طلق ومرأى الارض قد راقا  
وللنسيم اعتلال في اصائله كانه ريق لي فاعتل اشفاقا  
والروض من مائه الفضي مهتم كما شققت من اللبان اطواقا  
يوم كايام لذات لنا انصرفت بتنا بها حين نام الدهر سرافا  
نلهو بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال اعناقنا  
كان امينه اذ عانيت ارقسي بكت لما بي فجال الدمع رقراقا  
ورد تالق في ضاحي منابته فازداد له منه الضحى في العين اشراقا  
سرى ينانعه نيلوفل عبق وسنان فيه من الصبح احداقنا  
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا اليك لم يعد عنها الصدران خاقا (٥)

وكانوا اذا رثوا وصفوا الروض منتنيا على المرثي ، كما تجرى جداول الماء على الخدود حزنا عليه  
ويهتز الناس هزة الاغصان بكاء على المصاب . وقال ابن خفاجة يرثي الوزير ابا احمد عبد الله  
بن ربيعة في كل ناد روض نشاء  
ولكل شخص هوة الغصن الندى  
ويكل خد فيك جندل ماء  
فب البكاء ورنه الكاء (٦)

(١)	ديوان ابن زيدون	٥٠
(٢)	" " "	٢٦١
(٣)	" " "	٢٥٧
(٤)	" " "	١٠٩
(٥)	" " "	٢٧٢
(٦)	" خفاجة "	١٣

ومنها :

فلطالما كنا نريح بظله فنريح منه بسرحة فناء

فتقت على حكم البشاشة نورها وتنفست في اوجه الجلساء

تفرج الغمامة عنه كأنه قمر تعوق شعله الظلما (١)

ويظهر ان الطبيعة اصبحت تشارك الاندلسي افراحه واحزانها فاذا حزن شعر انها يجب ان تشاركه همومه واحزانه وقد يبكي الشاعر بحزن اليم يصيب منه الفؤاد فيطلب من الطبيعة ان تؤاسيه وان تهطل اللسحب دموعها .

الم يان ان يبكي الغمام على مثلي ويطلب ثارى البرق منصلت الدصل

وهلا اقامت انجم الليل ماتسما لتندب في الافاق ما ضاع من مثلي (٢)

وهنا يطلب شاعرنا في حالة بؤسه ان يبقى مع الآسي والقواني  
الاخلياني والاس والقواني ارددها شجوى واجهش باكيا (٣)  
ومنها وهو يخاطب الماء ويستجد .

يا برد هذا الماء هل منك قطرة تهل فيستقي غمامك هاديا

وقف حيث سال النهر ينساب ارقما وهب نسيم الايك ينفث راقيا

وقل لا تتيلا هناك واجدع سقيت اتييلات وحييت واديسا (٤)

وان لفي هذه المناجاة وهي تصدر من قلب شاعر متالم حساس لوحة صادقة تحمل القارئ على مشاركته شعوره .

واذا ما جلسوا في مجلس انس او طرب لم ينسوا ما كذبت تهيئه لهم طبيعتهم الجذابة من جو جميل فرح تترقق فيه الاطيار وتسيل فيه الصياح وتطيب فيه الاثمار

وبل بنا تحويعن الدمع نشرها حيث السرور بكاس الانس يسقينا

وحيث الهنا وفنون اللهور رائحة والطير من طرب فيها تتاجينا

وجداول الماء يحكي في اجنته صوارما جردت في يوم صفينا (٥)

واعين الزهرني الافسان جاحظة كأنها امين الغزلان تغرينا

وتصبح الطبيعة وقد ثملوا بلدة الخمرة في نظرهم كغادة مغربة فلا يستطيعون تفاديها فياخذون بمغازلتها وخصها بقسم وافر من شعرهم .

مفخة الملابس بالغوالي

ادرها فالسما بدت عروسا

وجفن النهر كحل بالظلال

وحد الارض فخره اصيل

(١) ديوان ابن خفاجه ١٤  
(٢) المطمح الجزء الثالث ٨٥  
(٣) ديوان ابن زيدون ١١٢  
(٤) المطمح الجزء الثالث ٨٥

(٥) الاحاطة القسم الاول ٣٠

وجيد الغصن يشرب في لآل تضي\* بهن اكناف الليالي (١)  
وقال ابو بكر حمد بن نصر الاشبلي وقد بدت الطبيعة كالعروس

وكانما تلك الرياض عرائس ملبوسهن معصفر ومنصففر

او كالنيمان لبسن موشي الحلبي فلهن في وشي اللباس تبختر (٢)

وهكذا نرى ان الطبيعة لدى الاندلسي تتقبل جميع الصور وتنحصر جميع الاشكال ، فان مدح  
حول سدوحه الى رياض وازهار واقمار وشموس ، واذا تغزل انسابت في القصيدة كالماة الزلال ، واذا  
رثى تحولت الى دموع حذرة تذرف على فقيده .

ومثل هذا الشعر كثير جدا عند الاندلسيين ولكنه على كثرته لم تنتوع صورته ولم تتعدد  
مناحيه ولم يتعمق الشعراء في ابتكار معانيه حتى انهم لم يختلفوا كثيرا بعضهم عن بعض في انواع  
الاستعارات والتشاييه والتحسينات اللفظية فالمعاني الواحدة تتكرر وتتردد في عدة قوائد لشعراء  
مختلفين بالفاظ واحدة وتعابير واحدة كما سنرى في الصفحات المقبلة . اذ لم يكن الشعر الاندلسي  
وهو يصف الرياض والبساتين الا كالرسم البارع الذي توفقت لديه المناظر البهجة ولكنه على توفرها  
وجمال الوانها لم يستطع ان يقلبها لنا الا كما التقطتها ريشته فلم يتمكن من ان يسكب فيها روحا  
من روحه او ان يلونها بريشته مغموسة بدم قلبه . بل كان شاعرنا يخرج الى الطبيعة مع رفاقه  
يقيم بجمالها وتمتع بسحرها ثم يقف امام مذبح لينقل الى الناس مشاهدته ومغامراته وما  
تركته الطبيعة في نفسه من اثر وشعور يصدران عن الحس والمشاهدة ، فكان الشاعر يقرأ من سفر  
الطبيعة كما تراءت له لا اكثر ولا اقل ، ولم يكن هذا بالشئ العسير فقد توفرت لديه المناظر كما  
راينا وزخرت لغته بالاسماء والاصناف لشتى مظاهر الطبيعة واثارها وما لانهارها واوقاتها فما كان  
منه الا ان ينقها اليها بقلب شعري لطيف . ولهذا نرى ان هذا الشعراء تم بالفتور واصطبغ  
بالصنعة وهيمنت عليه مسحة التكلف والتطرق ، ولعل ذلك يرجع الى ان شاعرنا لم يخرج الى  
الطبيعة يتأملها لاجلها وحدها ويستجلي محاسنها وان يحاول التفاض الى معانيها واستكشاف  
اسرارها وفواضها بل كان هنالك دواعي عديدة خارجية تدفعه الى وصفها والتغني بمحاسنها  
من اهمها :

(١) تهافت الشعراء وتزاحمهم على عطايا الامراء والخلفاء ووقفهم شعرهم على هؤلاء  
الملوك لآرهم الخاصة والعامة ، فكثيرا ما كان الشاعر لا يقول الشعر الا بناء على طلب اميره في  
مدحه ووصفه ووصف قصوره ومبانيه وحدائقه وما حوت من الغرائب والنوادر . وكثيرا ما كان يخرج  
الامراء والقواد الى رياضهم ومنزلاتهم ومعهم الشعراء للغاية نفسها فلا غرو اذا ان ينقص الشعر  
جراة الايمان ، وحرارة الشفق بالطبيعة نفسها .



قال ابو عبد الله بن السيد البطليوس يصف مقترها انه مع المأمون بن ذي النون  
" حضرت مع المأمون بن ذي النون في مجلس الناعورة بالمنية التي تطمح اليها النوى ومآها هو  
المقترح والتمنى ، والمأمون قد احتسب وافاض الحبا ، والمجلس يروق كأن الشمس في افقه والبدر  
كالتاج في مغرته والنور صبي ، وعلى ماء النهر مصطح ومفتيق ، والدولاب يثن كناقته اثر الحوار  
او كتكلى من حر الاوار والجو قد غبته انواءه ، والروض قد رشته انداؤه ، والاسد قد فخرت  
افواها ، ومجت امواها فقلت (١) :

يا منظرا ان نظرت بهجته	اذكرني حسن جنة الخلد
تربة مسك وجو عنسيرة	وفيم تد وطش ماورد
والماء كاللازورد قد نظمت	منه اللآلي فواخر الاسد
كانا جائل الحباب بسه	يلعب في جانبيه بالنسرد
تراه يزهو ان يحل به ال —	مأمون زهو الفتاة بالعقد
تخاله ان يدا به قسرا	تا يدا ني مطامع السعد
كانا البست حدائقه	ما حاز من شيمة ومن مجد
كانا جادها فروضها	بوابل من يصينه رفسد (٢)

ان التصنع في وصف الطبيعة لجلي ظاهر في هذه المقطوعة وما وصفها الا ليخرض المأمون  
فيصف مجلسه ثم يتوصل الى مدحه كما ان تربة المسك وجو العنبر ، وفيم الند ومطو ماء الورد  
ولا زورد الماء كلها تعابير تكررت في الشعر الاندلسي حتى ملت .

ولم يختل ف ابو الفضل عن زميله البطليوس في وصف احدى نزهة المستعنين ، وركب  
المستعنين بالله يوما مهر سرقسطه يريد طراد لذاته وارتياح نزهته واقتفاد احد حصونه المنتظمة  
بلبته وواجتمع له من احصاه من اختصه لاستصحابه وفيهم ابو الفضل شاهدا لانقراضهم ، سالكا لنهاجم  
والمستعنين قد احضر من الات ايناسه ، واظهر من انواع ذلك واجناسه ، وا راق من حضر ، وفاق  
حسن الروض الاظفر ، والنزوارق قد حفت به والتفت بجوانبه ونغمات الاوتار تحبس اسائر عن عدوه  
وتخرس الطائر الفصح بشدوه ، والسماك تثيرها المكاييد ، وتغوص اليها الصايد فتبرز منها للعين  
قضبان در اوسباكك لجبين ، والراح لا يطمس لها لمع ولا يبخس منها بصير ولا سمع ، والدهر قد  
غضت صروفه وامس من منكوه معروفه \* فقال :

(١) فلاك العقيان ١١٢ - ١١٣ النسخ المجلد الاول الجزء الخامس الطبعة الجديدة نص



فقال والد ابن سعيد يصف يومه \* فسبحت امانا اوز ، وجعلت تمرح وتثريا عليها من الماء فوق  
المرج والمرح قد احدثى به الوادى ، والشمس قد مالت عليه للغروب ، فقال لي ابو الحسن ، بالله  
صف يومنا وحسن هذا المنظر ، فقلت لا اصفا و تصفها انت فقال لك مني ذلك ففكر كل منا على  
انفراد بعدما ذكرنا ما نصف نثرنا فقال ابو الحسن الوقشي :

لك يوم بمرح الخبز طاب لنا  
وللاوز على ارجائه لعب  
والشمس تجنح نحو البين مائلة  
والكاس جائلة باللب جائرة

(١) فيه التخم بحيث الروش والنهر  
اذا جرت بدرت ما بيننا الدرر  
كان طاشقها في الغرب ينتظر  
وكلنا غفلات الدهر نبتدر

قال فقلت :

الا بهذا يوم ظفرنا بطبه  
وقد مرخت فيه الاوز وارسلت  
ومد به للشمس فيمركانه  
ادرنا عليه بحث به

(٢) باكتاف مرج الخبز والنهر ييسم  
على سندس دروا به ينتظم  
لثام بها ملقى من النور معصم  
بيننا عاد وهو يكلم

فردنا اليه صامتين سكينة  
فرحنا و كل بالهوى يترنم

وكثيرا ما كان يطلب الى الشعراء ارتجال الاشعار في الزهور من ورد وياسمين كما يحدثنا ابو  
البركات النصيبي وقد احضر من بستاني من الورد والياسمين شي كثير وعملت على سبيل الولوج  
دائرة من الورد تقابلها دائرة من الياسمين فانفق ان دخل علي شاهران كانا ينصبين احدهما  
يعرف بالمهذب والآخر يحرف بالحسن بن البرقعيدى فقلت لهما اصلا في هاتين الدائرتين ،  
ففكرا ساعة ثم قال المهذب :

يا حنسها دائرة  
والورد قد قابلهما  
كماشق وجهه  
فاحمر ذا من خجل

من ياسمين مشرق  
في حلة من شفق  
تغامزا بالحدق  
واصفر ذا من فراق (٣)

وقال الآخر :

يا حنسها دائرة  
والورد قد قابلهما  
كماشق وجهه  
فاحمر ذا من خجل

من ياسمين كالحلي  
في حلة من خجل  
تغامزا بالمقلل  
واصفر ذا من وجل (٤)

- (١) النفع المجلد الاول الجزء الرابع ١٣٩ (٢) النفع المجلد الاول الجزء الرابع ١٣٩  
(٢) النفع المجلد الاول الجزء الرابع ١٣٩ (٤) النفع المجلد الثاني الطبعة الازهرية ٢٢١  
(٥) النفع المجلد الثاني الطبعة الازهرية ٢٢١

فهذه الاسباب ومثلها الكثير هي التي صبغت الشعر الطبيعي بصفة التصنع والتكلف فجاء في اكثره مشابه الصور والالفاظ وسطحي المعاني باذى الكلفة والتزويق .  
وليس لي وقد ذكرت اهم خصائص الشعر الطبيعي الا ان اعرض نماذج مختلفة منه ليستطيع القارى ان يكون له فكرة صادقة عنه وليتحقق من صحة ما ذكرته سابقا كما ولا بد من الاشارة الى ان هذا الشعر وان جاء متشابها في خطوطه الكبرى كما ذكرنا ولكنه بقي يتصف بصفات مميزة تختلف باختلاف قائل هذا الشعر فبعض من احب الطبيعة في الرياض والبساتين في جميع مظاهرها ، وفي اى حالة كانت ، فاللروض حسن وجمال ولللازهار عبير هو نشر الحبيب وصفرة النرجس هي صفرة وجهه

والروض حسن فقف عليه	واصرف عنان الهوى اليه
اما ترى نرجسا نضيرا	يرنوا اليه بمقلتيه
نشرحيبي على رياه	وصغرتين فوق وجنتيه (١)
والروض سكران من ماء النعيم	
والروض يبعث بالنسيم كأنه	اهداه يضرب لاصطباحك موهدا
سكران من ماء النعيم فكلمنا	فناه طائره واطرب ردا
ياوى الى زهر كان عينه	رقبا تمعدد للاحية مرصدا
زهر يبوح به اخضرار نباته	كالزهر اسرجها الظلام وارصدا
وببت في فتن توهم ظله	يمسي ومصيح في القرارة مرودا
قد خف مرقعه عليه وربما	مسح النعيم بمعطفه فتاودا (٢)
وهنا زمرة من الشعراء لا تزوق لهم الطبيعة الا وقد اخضرت راييها واقتربت عن ثغور اقاحها	
وانسابت مياها الفضية تصفق تارة وتضحك اخرى ، وفقى طيرها على العصون :	
وحديقة مخضرة اثوابها	في قضبها للطير كل مخرد
والجدول الفضي يضحك ماؤه	فكانه في المين صفح مهند
واذا تجمد بالنسيم حسبه	لما تراه مشبها للعبرد
وتناثرت نقط على حلقه	كالمعدد بين مجمع وبيد
وتدحرجت للناظرين كأنها	درنشير في بساط زبرجد (٣)

(١) الملحح الجزء الثالث ٨٠ (٢) قلائد العقيان ١٨٢

(٣) النخ مجلد اول جزء رابع طبعة جديدة ٢٩٦

- وهذه لوحة اخرى تشابه اللوحة الاولى غير ان الشاعر زاد فيها بعض الالوان الجميلة  
والروض مخضر الرى متجمل  
والطير تسجع في الغصون كأنها  
والماء مطربسيل عباهاهـ
- وتجتذب الالوان المختلفة من اصفر فاقع وابيض واخضر نظم الشاعر الاندلسي فيقول :  
راق العيون اديما فكانه  
ط بين مبيض واصفر فاقع  
يحكي حدائق نرجس في شائق  
تحدو قوائم كالجدوع فوقها
- وتشع حبات الندى على يانع الازهار -  
وقراءة كالعشر بين خيلة  
فكانها مشكولة بصندل  
امل بلغناء بهضب حديقة  
فكانه والزهر تاج فوقه  
راق النواظر منه رائق منظر
- كسى الطل الروض وقامت الريح صافحة فرفقت خضر الاضغان وضت ورق الحمام : -  
وروض كساه الطل وشيا مجددا  
اذا صافحته الريح خلت غصونه  
اذا ما انسكاب الماء عاينت خلتها  
وان سكنت عنه حسبت صفاءه  
وضت به ورق الحمام بيننا
- لقد احب الاندلسيون بروية الرياض وقد انتثر الطل في رباها ففاكثروا وصفها في حالاتها المختلفة  
فهذا شاعر وقد تراءت له روضة جميلة نظمت له ايدى الغمام عفودا وسقنتها بما الورود :  
طوبى لروضة جننة  
نظمت على لباثها  
وقت بما الورود والسك الفتيت صميدها  
والطير تشدون في الغصون المائتات قصيدها  
وتصير سمع الصتمير  
نظمها ونشيدها
- (١) فلائد العقيان ٢٠٤ (٢) الاحاطة الجزء الثاني ٢٢٩ (٣) الاحاطة الجزء الثاني ٢٥٤  
(٤) النسخ المجلد الاول الجزء الخامس الطبعة الجديدة ٣٥٥ (٥) النسخ الجزء الثاني ٣٥٠

وتجلت لآخر عروبل والمياه عقودها والقطرات افراحها :

سقى الله ارضا كلما زرت روضها كساها وحلاها منظر القرط

تجلت عروبل والمياه عقودها وفي كل قطرة من جوانبها قرط (١)

ولم يختم الاندلسيون بالغمام وسقوط الندى فقط بل اسرى هذا الحب وهذا الغرام الى الخماثل والازهار التي كانت تتحرق الى ارتشاف ريق الغمام

وخيلة رقم الزمان اديما بطضرو وقسم ومشوب

رشت قبيل الصبح ريق فمامة رشف الحب مراشف المحبوب

وظردت في اكفها طك الصبا وقعدت واستوزرت كل اديب

وادرت فيها الدهر كاس مدامة مع كل وضاح الجبين مهوب (٢)

ولعل هذا الشغف وهذا الحب للغيث يرجع الى مزاياه الطبيعية ونواياه الحسنة، وشعوره الصادق نحو الاخرين من ابنا جنسه، وما كادت سحابة قاتمة تحجب شمس الضحى حتى يكي الغيث لفقدتها

يم كان سحابسه لبت عمالي الصامت

حجبت به شمس الضحى بمثال اجنحة الفواخت

فالغيث يبكي فقدها والهرق يضحك مثل شامت

والرهق يخطب فصحا والجو كالمحزون ساكت

والنور ينظر مثل باهت والنور ينظر مثل باهت

فاشرب ولذ بجنسة واظرب فان العرفاكت (٣)

وما يدل على شغف الاندلسي بطبيعة بلاده، تعشقه لشجرها وجمالها فهو يرى الكل في رهاها جوهرها منشورا، ويخال الزهر كافيورا وحسب التراب مسكا ازفر، بل هي جنة راقصة طروب، فتشور السوسن قبل خدود الورد والجدول ينسل جذلا مطروبا كالسيفز الطير يخطب فوق الاراك مسرورة مبهجة

والارض قد لبت رداء اخضرا والطل ينثرني رهاها جوهرها

هاجت فخلت الزهر كافيورا وحسبت التراب فيها مسكا ازفرا

وكان سوسنها يعافج وردها ثغر يقبل منه خذا احمرها

والنهر ما بين الرياض تخاله سيف تعلق في نجاد اخضرا

وجرت بصدقها الريا فحسبتها كفا ينق في الصحيفة اسطرا

وكانه ان لاح ناصع فضصة جعلته كفا الشمس تيرا اصغرا

والطيلا قد قامت به خطابهه لم تتخذ الا الاراكة منبيرا (٤)

(١) النفع الجزء الاول الطبعة الازهرية ٣٥٠ (٢) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣١٣

(٣) " " " " ٢٨٤ (٤) ديوان ابن بن سهيل الاندلسي ٤٠ - ٤١

بل ورداذا بلادهم هومن ماء انورد

وسع الحزن والدماث رشاشا

ارسل الجوما ورد رذاذا

وجرى فوق برودة الروض رشاشا

فانتنى حول اسوق الدوح خجلا

اصبحت من كلالفة الطل رشاشا

وسى في الغصون حلى بنانا

وترى الريح تنحش الماء نعشاشا

فترى الزهر يرقم الارض رقعا

(١) وكان البطاح عمد موشحسى

فكان المياه سيف صقيل

وتبكي السماء في الاندلس لتضحك الزهر

وللورق تخريد وقد خفق الشهر

الى اى يوم بعده يرفع الحمر

وفوق متن الروض اردية خضر

وقد صقلت كف الخزالذائفها

(٢) عليها ولو ذاك ما بسم الزهر

وكم قد بكت عين السماء بدمعها

يلقي على الافاق رطب الجوهري

وما غيبهم الا مشغل فضة

في ان يعود بمثلها له يقدر

وتغار انس لومالقا دهرنا

فتلفظت من نجمها في مئزر

في فيئة علمت ذكاه عشيهم

كف النسيم على لواء اخضر

والسرحة الغنا قد قبضت بها

(٣) يلقي على الافاق رطب الجوهري

فكان شكل النسيم مشغل فضة

وتدور الايام دورتها وتتور العلاقات ويصبح الحبيب عددا ان كان الغمام يبكي لتبسم

الازهار ماذ به معها في خصام يهاجمها ببيض البرق وسر السرور يربها بنبل من الماء فما كان

من النهر الا ان تدرع تهبنا للمحرم واهتزت فيما الشجر مزجرة متوعدة :

بين الرياض وبين الجو محترق بيفض من البرق او سر من السر

وان اوترت نبالا قوسها كف السماء رمت نبلا من الماء في زحف من الغدر

(٤) لاجل ذاك اذا هبت طلائعها تدرع النهر واهتزت من الشجر

واجتمع الوزير ابو بكر بن الفيطر والاديب ابوالعباس بن صاره الاندلسيان في يوم جلا ذهب

برقه واذاب ورق ورقه والارض قد ضحكت لتعجب السماء واهتزت وريت عند نزول الماء فقال ابن

(١) الاحاطة الجزء الاول ١٢٣ (٢) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٨٠

(٣) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٧٣ (٤)

(٤) ٣٦٨ " " " " " "

القيطونة :

(١) حبل الريح وحليها النوار

هذه البسيطة كأعب ابرازها

(٢) قد شفه التعذيب والاضرار

نقال ابن صارة : وكان هذا الجوف فيها عاشق

(٣) واذا بكى فدمعه الامطار

نقال ابن القيطونة : واذا شكا فالبرق قلب خافق

(٤) يبكي الغمام وتضحك الازهار

فاجابه ابن صارة : من اجل ذلة ذا وهزة هنا

وما اجل الطبيعة حين يحنو بعضها على بعض فبنام التبت في احضان النساء على اهتزاز الطل في مهد الخزامى وسقي السحاب الاضغان فتدعى لتلثم افواه الندى ، ويكحل الفجر لهم اجفان الدجى . ولعل ابلغ ما قيل في هذا الباب قول يحيى ابن هذيل احد اعيان الاندلس :

لا اهتزاز الطل في مهد الخزامى

تام طفل التبت في حجر المعاني

فهدت تلثم افواه الندى

وسقى الوردى احضان النقا

وفدا في وجنة الصبح لسثاما

كحل الفجر لهم جفن الدجى

قد سقته راحة الصبح مداما

تحسب البدر محبا ثملا

(٥) مسكة الليل عليهم خستاما

حول الزهر كوكب وس قد تحسدت

وتضوع النسيم وضحك الازهار وكاء الغمام وتصفيق النهر ورقى الاضغان وفناء الطير من المعاني  
الحكرة العالوفة عند شعراء الاندلس :

والانس ينظم شطنا ويجمع

طفل الماء ولنسيم تضوع

ربعت تشيم سيوف برق تلمع

والزهر يضحك من بكاء فمامة

(٦) والغصن يرقص والحمامة تسجع

والشعر من طرب يصفق موجه

وانظر الى الشاعر كيف يستعير الفاظه وتشايبه من اللجين والنضة والنضار والذهب والدرر والجوهر  
والدراهم والدنانير ليصف الطبيعة :

فانج لجينا منها بخضار

اذن الغمام بديمة وقار

هنج الندى من فصح الاطيار

واربع على حكم الريح باجرع

درر الندى ودراهم الانوار

نشرت بحجر الورد فيها يد الصبا

(٧) خفاقة بمهب ربح غرار

وهفت بشهره هنالك ايكسة

(١)	الفح الجزء الثاني الطبعة الازهرية	٢٢١
(٢)	الفح الجزء الثاني الطبعة الازهرية	٢٢٢
(٣)	" " " " " "	٢٢٢
(٤)	" " " " " "	٢٢٢
(٥)	" " " " " "	٢٢٣
(٦)	الاحاطة الجزء الثاني	٢٥٥

(٧) ديوان ابن خفاجة ٧٣



وفي هذا النعني قول احد الشعراء :

بين الفرات وبين شططا الكوثر

مرج بمنفج الكتيب الافر

والشمر ترقص في قميص اصفر

ومنها : و الطير تشدو والاراقة تنثني

والزهريين مدرهم ومدنر

والروضيم مذهب وفضض

سيف يسل على بساط اخضر

وكانه وكان خضرة شطه

مها طفا في صفحة كالجوهر

وكان ذاك الحباب فرندة

وجيد فيه الشعر من لم يشعر (١)

نهر يميم بحسنه من لم يعم

ويعتقد الشاعر ان الطبيعة تستمتع بجمال بعضها بعضها صفة الشمس الا من الم فراق الرياض  
وما حوته من مناظر جميلة .

الا لفرقة حسن نذاك النظر (٢)

ما اصفر وجه الشمس عند غروبها

ويعود هذا الشاعر يصف المكان نفسه مرة اخرى فيقول :

ظل وشمس مثل غد معذر

ارأت جفونك مثله من منظر

كبطونها وحبابها كالاظهر (٣)

وجداول كاراتم حصاها وها

والطير المفرد على الاغصان ولسان البرق الذي يشبه الرداء المذهب هي الفاظ كثيرة ما  
يستعملها شعراء الطييرة في شعرهم

به وكان الطير يشقى فيطرب

بهور كان الغنم يزهي فينثني

فاملى وجالت راحة البرق تكجب

قد ارتجز الرعد الغزن بانقه

لواء خضيب او رداء مذهب (٤)

كان لسان البرق فيه عشية

ولابن خفاجه ايضا :

عليها حلى حمراء واردية خضرا

ومائة تزهي وقد طلع الحيا

وتجمد في اعطافها ذهب نضرا (٥)

يدوب لها ربي الغمامة فضة

ولا تروق الطبيعة لثقة من الشعراء الا في الصباح الباكر وقد كاد الليل ان ينقشع وسفر الصبح  
عن جيش النهار ، وقد امتلاء الروض بالازهار التي قد انتشرت كالدراهم وسقط النداء كالدرد فوق النوار  
والريح تنفض باكرا قم الربي والنطل ينضج الاشجار

عن صفحة تندى من الازهار

وكمامة مطر الصباح قناعها

اخلاف كل غمامة مدرار

في ابطح وضعت تغرير اقاحه

(١)	الاحاطة الجزء الثاني	٢٥٣	(٤)	ديوان ابن خفاجه	٣٥
(٢)	" " "	٢٥٣	(٥)	" " "	٣٥
(٣)	" " "	٢٥٣			

درر الندى ودرهم النوار  
حلى الحباب سواف الانهار  
جذب وحيث الشطيد\* عذار  
والظل ينضج اوجه الاشجار  
من ردف رايبه وخضر قسار  
والصبح يسفر عن جبين نهار  
خلعت عليه ملاة النوار (١)

قد ذكرتني يوقف العشاق  
بعضا كاعناق الى اعناق  
وقدا النهار ينوب عن احداق  
حتى حطت محاسن الاخلاق (٢)

وفي جنبات الروض للظل ادوع  
تعرق ثوب الظل منها وترفع  
تظل لها من هزة السكر تركع (٣)

الصباح الباكر يحب البعض الاخر ورودها  
وهنا الشمس عند الاصيل وقد احمر الشفق وتلون

قلد جيد الاتق طوق العقيق  
مرقصة في قضيبي ورسوق  
في الارض الا بكروس الشنسيق (٤)

كبد والعدار بخد اميل  
الى الشرب تنو بطرف كميل  
بقايا نجيع بسيف مسقيل (٥)

نشرت بحجر الارض فيه يد الصبا  
وقد ارتوى غضن النقا وتقلدت  
فحللت حيث الماء صفحة ضاحك  
والريح تنفض بكرة لهم الري  
متقم الالفاظ بين محاسن  
واراكة سجع الهديل بفرعها  
هزت له اعظامها ولربما

وهذا آخر وقد بكر الى الرياض : -

قد بكرت الى الرياض وقضيتها  
يا حسنها والريح يلحف بعضها  
والورد خد والاقاحي صمم  
لم انفصل عنها بكاس مداصة

وقال اخر :

الا حبذا روض بكرنا لسدس  
وقد جعلت بين الفصون تسمية  
ونحن اذا ما ظلت القضب ركعا

وكما لا يرون البعض ورود الرياض والحدائق الا في  
في الاصيل وعند المساء ، وحيثما تحت ضوء القمر .  
الحقيق

يا هل ترى اطرف من يونا  
وانطق الورق بعيداتها  
والشمس لا تشرب خمج الندى

وتترك الشمس سناها فوق نجيعا فوق النهر الاصيل

وقد غشي النبات بطحاءه  
وقد ولت الشمس محتشة  
كان سناها على ناسره

(١) ديوان ابن خفاجة ٧٢

(٢) النفع الجزء الثاني طبعة ازهرية ٣٧٨

(٣) . . . . . ٣٠٠

(٤) النفع الجزء الثاني طبعة ازهرية ١٩٨

(٥) ديوان ابن خفاجه ١٠٤

وهنا يدموا بين الزقاق خليله للذهاب معه عند الاصيل الى شاطيء نهر منساب  
في احد الرياض ليستمتع بالسحر والجمال :

دعاك خليل والاصيل كانه  
الى شط منساب كانك ماؤه  
ومهموى جناح للصبا يمسح الريا  
على حين راح البرق في الجومفمدا  
وقد حان في الرياض الثقاة  
على سطح غيبى ذكرتك فانثى  
فصل زهرات منه هذا كانها

عليل يقضي مدة الرمق الباقي  
صفا ضمير او عذوبة اخلاق  
خفي الخواني والقوادم خفاق  
ظباء ودمع المزن من جفنه راق  
حبست بها كاسي قليلا عن الساقى  
يميل باعناق ويرنو باحداق  
وقد فضلت فطرا معاجر عساق (١)

وهذا آخر يصف عشية انس

وهي انس اضعفتني نشوة  
خلعت علي بهذا الاراة ظلها  
والشمس تجنح للخراب مريضة  
وهنا جلس البعض للشرب والسما تهطل دمعها والبطحاء  
والشمس تنفض على الرى زفراتها والانوار تخمض اجفانها فقال شاعر الحقل :

لو كنت تشهد يا هذا عشيتنا  
والارض مصفرة بالمزن كاشية  
وجلس رهط آخر للشرب والبدر قد كمل :

فيه تمهد مضجعي وتدمت  
والنصن يصفي والحمام يحدث  
والرعد يرقى والغمامة تنفت

ولقد شويت الراح يسطع نورها  
حتى تبدى البدر في جوزائه  
لما اراد تنزهها في فرسة  
وتناهضت زهر التجم يحفه  
وترى الكواكب كالمواكب حوله

والليل قد طه الظلام ردا  
ملكا تناهى بيهجة ربهما  
جعل المظلة فوقه الجوزا  
لاؤها تاستكمل الآلا  
رفعت شهبها اعليه ليلوا (٣)

وتصبح الطبيعة في نظري بعضهم حينها حية لها جمالها  
ندى النسيم فما ارق واعطرا  
فزفتها بكرا اذا قبلتها

ولها رونقها ولها نداها وشذاها الطيب :  
وهذا القضييب لما اغض وانضرا  
القت على وجهي قناها احرا

(١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٥٢ (٢) ديوان ابن خفاجة ٣٥

(٣) فلاك الحقيان ١٠٠ (٤)

ورفت بين قميص فيم هلهل  
والريح تتخل من رذاذ لؤلؤا  
ورداه شمس قد تمزق اصفرا  
وشبه ابن خفاجة الاراك بالمرآ الحسناء ولا يخرج في وصفها عن غيره من الشعراء فالكؤوس  
والنجوم والمدام كلها الفاظ مستعارة تجعل من هذا الوصف وصفا تقليديا .

واراكة ضربت سما فوقنا  
تندى وافلاك الكؤوس تدار  
صفت بدوحتها مجرة جدول  
نثرت عليه نجومها الازهار  
وكانها وكان جدول مانها  
حسنا شد بخصرها زنار  
زف الزجاج بها عروس مدامة  
تجلى ونوار الغصون نثار  
في روضة جنح الدجى ظل بها  
ونجست نورا بها الانوار  
غنا ينشر وشبه البزازلي  
فيها ويفتق مسكه العطار  
قام الغناء بها وقد نضح الندى  
وجه الثرى واستيقظ النوار  
والما من حلي الحيا مقلد  
زرت عليه جيوبها الاشجار (٢)

وكثيرا ما كان يخرج الشعراء الى الحدائق والرباض للمتنتزه والشراب وكثيرا ما كانوا يصفون حالهم  
ومكانهم ومن جميل ما قيل في وصف هذه المجالس هذه الابيات :

احسب المدامة والنسيم طيب  
والظل خفاق الرواق ظليل  
والنور طرف قد تشبه دامع  
وتطلعت من برق كل غمامة  
حتى تهادى كلها خوطة ايكة  
عطف الاراكة فانقتى شكرا له  
فالروض مهتز المعاطف نغمه  
ريان فضضه الندى ثم انجلى  
وارتد ينظر في نقاب غمامة  
ساج كما يرنو الى عواده  
شاك يولتمع العزير ذليل (٣)

وللشعراء اخبار كثيرة ونوادير ظريفة جدا في هذه المجالس التي كانت تحقد في الرباض والمنتزهات  
التي سأتي على ذكرها ما قريب في باب المنتزهات .

## ١ - الورد والرياحين

تكلنا من الرياض والحدائق ووصف الشعراء لها بصورة عامة والان لنجمل جولة قصيرة في جنات النعيم هذه ولنقف مع الشاعر الاندلسي عند بعض هذه الورد والرياحين نتأملها ونتلذذ بحاسنها ، بل دعونا نخرج معه الى غراس الفاكهة وما حوته من اطييب الازهار والثمار نستمتع بها ونشارك شاعرنا الاندلسي استمتاعه واعجابه ولنستمع الى الحانه في وصف هذه الازهار زهرة زهرة وهذه الاثمار ثمرة ثمرة ، ولنبدأ بملك الرياض

الورد :

الورد عند العرب من الرياحين المفضلة بل هو ملك الرياض فقد كان المتوكل يقول  
انا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا اولى بصاحبها وقال شاعرهم فيه :

للورد هندي محلل                      لانه لا يصل  
وكل الرياحين جند                      وهو الامير الاجل

ولم يختلف اهل الاندلس من اهل المشرق في حبهم للرياض والرياحين والازهار فقد احبوا  
واولعوا بها ، فقد بلادهم بلاد النواوير والواهار وقد كان عندهم جبال تعرف بجبال الورد (٢)  
والورد عند البعض ملك النواوير ايضا كان سوا اوجد في الشرق اوفي الغرب فيقول :

الورد احسن ما رات عيني واز              كي ما سقى ما السحاب الجائد  
خضعت نواوير الرياض لحسنه              فتذلت تنقاد وهي شوارد  
واذا اتى وقد الريح مباشرة              بطلوع وقد فنم الواسد  
ليس البشر كالمبشر باسمه              خبر عليه من النبوة شاهد  
واذا تعرى الورد من اوارقه              بقيت عوارفه فحن خوالد (٣)

وما يدل على مركز الورد السامي عند الاندلسي انه كان يتهداه الملوك والامراء كاتمن الهدايا  
وانفسها فقد كان في دار محمد بن السبع شاعر الدولة العامرية وقرانه وردة وكان يهدي وردها كل عام  
عام الى طارح الجيش احمد بن سعيد وحدث ان قاب العارض سنة (٤) فقال ابن السبع في  
لسان الوردة :

قال لي الورد وقد لا              حظته في روضتيه  
وهو قد اينع طيبا              كع الحسن لدييه  
ابن مولان الذي قد              كت تهديني اليه  
قلت قاب العام فابن              ان ترى بين يديه  
فيدا يذبل حتى              ظهر الحزن عليه (٥)

وما يلاحظ من الأشعار التي نظمت في الورد ان الاندلسي لم يعرف الا لونا واحدا من الورد هو اللون الاحمر، اذ ان اصنافهم لم تتعد الا وراقى الحمرا والاصفر في الوسط كما اكثر ما شبه به الورد خذود الحبيبة الحمرة من الخجل . فقد قال ابو وطرق في هدية ورد :

خذها اليك ابا عبد الله فقد جاتك مثل خذود زانلقها الخفر (١)  
وقال آخري وردة ظهرت قبل تاوانها :

ورودة وردت في غير موقتها والسحب قد هطت اجفانها مطلا

وانبعا الروض لما لم يند تمرا يفرىكه انفتحت في خده خجلا (٢)

وهنا يشبه شاعرنا الورد وقد تسربل بحلة من الشفق وقد قابله الياسمين بحلة صفراء كعاشق وجبه

يا حسننا دائرة من ياسمين مشرق  
والورد قد قابلهما في حلة من شفق  
كعاشق وجبه تغامزا بالحسنى  
فاحمر ذا من خجل واصفر ذا من قرق (٣)  
وفي المعنى نفسه قال آخر :

يا حسننا دائرة من ياسمين كالجلي  
والورد قد قابلهما في حلة من خجل  
كعاشق وجبه تغامزا بالقسى  
فاحمر ذا من خجل واصفر ذا من وجل (٤)

وهيبت ترنجان بورود خضراء حمراء فيصبح كخذود العذارى في معانقها الخضر

ورود جني طالعتنا خذوده ببشر وبشر بيمتان على الشكر  
وحنى ترنجان به فكانه خذود العذارى في معانقها الخضر (٥)

وتراهى الورد في الصباح وهو لا يزال برصا كم بهم بالتقيل ولكن ما يلبث ان وجبينه حمرا قد خرجها الحياء بعد ان تركتها الشمس وقد طبعت في وسطها قبلة صفراء :-

ارى الورد عند الصبح قد مد لي فما

يشير الي التقيل في حالة اللبس

وبعد زوال الشمس القاء وجنة وقد اثرت في وسطها قبلة الشمس (٦)

---

(١)	النفح الجزء الاول ازهرى	١٤٨	(٢)	النفح الجزء الثاني ازهرى	٢٢١
(٢)	" " " "	٢٢١	(٤)	" " " "	٢٢١
(٥)	" " " "	٢٤٠	(٦)	" " " "	٢٢١

ويروق لآخر الخروخ الى الورود في الصباح وقد بللها قطر الندى وكانها الدموع سالت على خد  
الورد ولكن ما تلبث ان تجفها نسس الضخى

فوق خد الورد دمع  
برداء الشمس اضحى  
من عيون السحب يذرف  
بعد ما سال يجفف (١)  
هرى محمد بن عبد الله بن ظاهر في اوراق الورد الحمراء يواقيت وفي الخضراء زمردا  
وفي اواسطها ذهبها

اما ترى شجرات الورد طالعة  
كانها يواقيت يحيط بها  
كأنه حين يبدو من مطالعه  
خاف الرقيب وداعي الشوق يؤمنه  
منها بدائع قد ركين في قضب  
زمرد وسطها نقش من الذهب  
صب يقبل جا غير مرتعصب  
فصار يظهر احيانا من الحجب (٢)  
وفي جوفها خالص الذهب

وراها آخر مداهن من يواقيت ركبت على الزهرجد  
اما ترى الورد يدعو للورود الى  
مداهن من يواقيت مركبة  
كأنه حين يبدو من مطالعه  
خاف الملاك اذا طالت اقامته  
ورائحة الورد هي المسك

ودونك يا سيدى ورد  
كمدراة ابصرها مبصر  
تذكرك المسك انغامها  
فقطت باكامها راسها (٤)  
وفي خجل الورد قال آخر

فالد يصفر لاستحسانه حمدا  
والورد يحمر من اهداه خجلا (٥)

- 
- (١) النفع الجزء الثاني ازهرى ٢٢١
  - (٢) حلية الكميث التواجى ٢٣٨
  - (٣) الارزب النوي الجزء (١١) ١٩٠
  - (٤) حلية الكميث التواجى ٢٤٠
  - (٥) الدولة العبادية الجزء الاول ص ٣٢

## الياسمين

لم تتل هذه الزهرة حظوة كبيرة عند الاندلس شعراء الاندلسيين ولذلك لم يصفوها كثيرا وما الياسمين في عرفهم الا بساط اخضر يتخلله الجواهر

يا حبذا الياسمين اذ يزهر  
فوق فصوص رطيبة نضر  
قد امتطى للجمال ذروتها  
فوق بساط من سندس اخضر  
كانه والعيون ترفقه  
زمرد في خلاله جوهـر (١)

قال ابوالحسن حازم ابن محمد القرطاجني يصف الياسمين

حديقة الياسمين لا  
تهم بغيرها الحدق  
اذا جفن النعام بكى  
تبسم ثغرها اليفق  
فاطراق الاهلة سا  
ل في اثائها الشفق (٢)

وقال المعتمد ابن عباد

كانا ياسميننا الغض  
كواكب في الساء تبيض  
والطرق الحر في بواطنه  
كخد عذراء مه عضي (٣)  
وفيه قال احمد ابن عبد الرحمن القرطبي  
ولفاه خلناها ساء زرجد  
لها انجم زهر من الزهر الغض  
تاولها الجاني من الارض قاهدا  
ولم ار من يجني النجوم من الارض (٤)

## النرجس

ومعرف عند اهل الاندلس بالبهار وقد شبهه الشعراء بالعينين وقد قال الجزيري على لسان بهار العاصية ابن الغصور

حدق الحسان تقرلي وتغار  
وتضل في صفى النهى وتحار  
طلعت على قضي عيون تمانني  
مثل العيون تحفها الاشعار  
واخص شي بي اذا شبهته  
در تنطق سلكه دينار  
انا نرجس عفا حقا بهرت عقولهم  
ببديع تركيبى فليل بهار (٤)

- 
- (١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٤٦٨ (٢) النفع جزء اول طبعة ازهرية ٦٢٢  
(٣) النور على جزء ثاني ٢٣٧ (٤) النور جزء ثاني ٢٣٨  
(٥) النفع الجزء الثاني طبعة ازهرية ٣٧٧



وشبه الشعراء الاصفر في وسط الزهرة بالتبر، والاوراق البيضاء بانامل من فضة  
ركبت على اذرع من زرجد

- تامل فقد شق البهار كائما  
مداهن تبرني انامل فضة  
وفي هذا المعنى قال ابو الاصبح بن سيد  
كانما الترجس في منظر الحسن  
انامل من فضة فوقه
- وابرز من نواره الغضل الندى  
على اذرع مخروطة من زرجد (١)
- وقال شاعر يصف احدى نزهنا ، ومررتا في احدى نزهنا بمكان مقرون الحاسن مسفر وفيه برك  
نرجس كأنه عيون مراض ، يسيل وسطه ماء ضراض  
نرجس باكرت منه روضه  
حنت الريح بها خمر حيا  
قعدا يسفر عن وجنتيه  
خلت لعم الشمس في مشرقه  
وبياض الطل في صفرته
- الذي امثاله تبتني  
كاس من الثبر به افرغنا (٢)
- وشبه احمد بن احمد الاشيلي النرجس بالعاشق الولهان الذي اضره فر السقام  
اما ترى النرجس الغض الذكي بدار كأنه عاشق شابت زوائبه  
او المحب شكاً لما اضره  
فرط السلام فعارته حبايبه (٣)
- وبدو النرجس لاهن حداد كاذرع الغيد وقد البست خضر البرود وتجلت فوق اناملها صفر اليواقيت  
انظر الى النرجس الوضاح حين بدأ  
كاذرع الغيد في خضر البرود جلت  
كانه ناظر من عين مبهوت  
على اناملها صفر اليواقيت (٤)
- وتحول اذرع الغيد عند ابن الجنان الى معاصم تحمل كما من الدر صب فيه الذهب  
ونرجس قائم على قضب  
كعصم من زرجد حملت  
شخص الحاظه لغير حسب  
كما من الدر فيه جام ذهب (٥)
- وشبهه شاعر آخر بياقوتة صفراء حولها ستة درر  
انظر الى نرجس في روضة انفا  
كان بياقوتة صفراء قد طبعت  
وقال ابن عباد  
عمري لقد راق طرفي حسن زاهره  
ابدت لنا حبا منها حديقتهما (٦)
- فناء قد جمعت شي من الزهر  
في فئنه حولها ست من الدر  
تمس في سندسيات من الورق  
عينا من الثبر في جفن من الورق (٧)

(١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣١٢	(٢) النفع جزء ثاني طبعة ازهرية ٢٨٤
(٣) قلائد القعبان ٢٠٦	(٤) ٣٨٤
(٥) حلية الكميث النواجي ٢٣١	(٦) حلية الكميث النواجي ٢٣٢
(٧) النويري الجزء الثاني ٢٣٢	(٨) النويري الجزء الثاني ٢٣٢

## الشقيــــــــق

ولون الشقيق الاحمر يذكر الشعراء بالدما و فقال احدهم في خامات زرع بينها شقائق  
نعمان هبت عليه ريح

- انظر الى الزرع وخاماته  
كاثبا تجفل مهزومة  
تحكي وقد مات امام الريح  
شقائق النعمان فيها جراح (١)
- بل حمرة الشقيق هي مسروقة من حمرة خدود الملاح في نظرا بن زقاق  
زرتها والخمام بجلد نعمة  
زهرات تفوق لون الراح  
سرق حمرة الخدود الملاح (٢)
- قال ابن خفاجة  
يا حبذا والبرق يزحف بكرة  
حتى اذا ولى واسلم عنوة  
جيشا رحيق دونه وحر يق  
ما شلت من سهل وذروة نيق  
فبكل مرقية لواء شقيــــــــق (٣)
- وتتراءى الشقائق الممتدة في السهول الخضراء كنفيد  
نظرت الى حسن الرياض وفيها  
جري دفعة منهن في اعين الزهر  
تليلها الارواح في القضب الخضضر  
قامت لرقص بنخلاتها الحمير  
كما مشطت فهد القيان شعورها (٤)

(٢) الفصح الجزء الاول ازهرى ٢٢٢

(١) قلائد العقيان ٢٢٢

(٤) ديوان ابن حمديس ١٦٢

(٣) ديوان ابن خفاجة ٦٥

## النيلوفر

النيلوفر بالكسر ويفتح الفاء ومنهم من يقول النيلوفر ومنهم من يفتح الاول وهو ضرب من الراحين ينبت في المياه الراكدة من اصل كالجزر وساقه املس يطول بحسب عمق الماء فاذا ساوى سطحه اوراق وازهر واذا بلغ يسقط عن راسه ثم يدخله بزر اسود .  
كثرت البرك والبحيرات في الحدائق والبساتين وفي مساكن الاشراق وقصور الخلفاء واماكن اللهي فكونت جوامع ملامح لنمو زهرة النيلوفر التي لا تنبت الا في المياه الراكدة . ولقد جذبت هذه الزهرة البيضاء المنقطة بالاسود ذات الاوراق الخضراء الطافية على وجه المياه افكار الشعراء كثيرا ، هذه الزهرة التي تفتح في الصباح وتنطوي في المساء كأنها عاشق تاذن لحبيبها في النهار بان يتمتع بها وتخضع عنها في الليل خوف الرقيب

وبركة تزهر بنيلوفر	نسيمه يشبه نشر الحبيب
يفتح الاجفان في يومه	حتى اذا الشمس دامت للمضيب
اطبق جفنيه على حبه	وقاص في البركة خوف الرقيب (١)
ويجد هذا العلاشق الولهان في النوم	لذة اذ لعله في الكرى يبصر من فارقه فـ عن قريب
وبركة احيا بها ماؤها	من زهرها كل نبات عجيب
كان نيلفرها عاشق	نهاره يرقب وجه الحبيب
حتى اذا الليل بدا نجمه	وانصرف المحبوب خوف الرقيب
اطبق جفنيه عسى في الكرى	يبصر من فارقه عن قريب (٢)
ويظهر ان لون النيلوفر المصفر قد ذكره بلون وجهه وما حال الزهر الا كحاله حزين متالم	يعوم في ابحر من الدموع
نيلوفر شكله كشكلي	يعوم في ابحر من الدموع
قد البسته عطفه دروفا	خود لريح الصبا شعوع
يلوح اذ لونه كلوني	من فوق نضفاضة هموع
مثل مسابير مذهبات	في حلقات من الدروع (٣)
وطيب اريج النيلوفر البهج يحيي النفوس فيدمر شاعرنا الناظرين الى التمتع بتالق جام الدر	الذي احكم في وسطه قصا من السج

(١) النوبرى الجزء الحادى عشر ٢٢١ (٢) النوبرى الجزء الحادى عشر ٢٢١

(٣) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٤١

يا ناظرين لذا النيلوفر البهج

وطيب مخبره في الفج والارج

كانه جام درني تالقه

قد احكموا وسطفصا من السيج (١)

ويحل ابن حمديس الى اللون الاخضر فيذكره النيلوفر بالياقوت الاحمر وقد ضمن شعرا من الزفران

لبنومفا

كانا النيلوفر المجتنى

وقد بدا للعين فوق البنان

مداهن الياقوت حمرة

قد ضمنت شعرا من الزفران (٢)

وكان من عادة اهل الاندلس ان يجلسوا حول البرك يشربون ويطربون، وما كان يزيد المكان بهجة ازهار النيلوفر البارزة على وجه الماء، ولهذا يدعو ابن حمديس طلاب الشرايب قائلا :

اشرب على بركة نيلوفر

حمرة النوار خضراء

كانما ازهارها اخرجت

السنة النار من الماء (٣)

والظاهر ان هذه الزهرة كانت حبيبة الى قلوب البعض فالكى باسط يده نحو النيلوفر الندى

كلنا باسط يده

نحو نيلوفر ندى

كد بايس مسجد

قضبها من زيرجد (٤)

### المنثور

يكثر المنثور في الاندلس على انواع مختلفة ومعروف عندهم بالخيري وهنالك نوع آخر يعرف بالخام وهذه جلا زهرة جريئة عكس زهرة النيلوفر المحبوس في حوف الشعراء ، لا تطيب الا ليلا للقاء الحبيب ولا تعبق رائحتها الا في الظلم ، فاذا جن الظلام تبدت مع الاساء تفتش عن الحبيب

وخيرة بين النسيم وبينها

حدثت اذا جن الظلام يطيب

تبدت مع الاساء حتى كانا

لها خلف استار الظلام حبيب

وتخفى مع الاصبح حتى كانا

عليها لانوار الصباح رقيب (٥)

وكتب لا احدهم يستهدى منثورا +

لك الخيرات تحفني بخير روضة

لانفاسه عند الهجوم هبوب

اليس اديب الروض جعل ليله

نهارا فيذكر تحته ويطيب

ويطوى مع الاصبح منثور نشره

كما بان عن ربح المحب حبيب (٦)

(٢) ديوان ابن حمديس ٤٣٦

(١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٤٦٠

(٤) تاريخ الدولة العبادية دوزي ٣٢

(٣) ديوان ابن حمديس ٤

(٦) النفع جزء اول طبعة ازهرية ٦٦٢

(٥) التويرى الجزء الحادى عشر ١٩٩

البنفج

البنفج احدى الزهرات التي احبها العامرون منذ المنصور حتى آخر هذه السلالة وقد سمي المنصور احدى بناته بهذا الاسم، وحدثت العامة كانت ملاهى بهذه الزهرة الناهمة الجميلة . وقد قال فيه الجزيري على لسان البنفج وهي ابنة المنصور العامري :

- |     |                                |                             |
|-----|--------------------------------|-----------------------------|
|     | شهدت لنوار البنفج السن         | من لونه الاحوى ومن اينامه   |
|     | بمشابه الشعر الاحم اعاره القمر | الخير الطلق نور شماعة       |
|     | ولربما حمد النجيب من الطلى     | في صام المنصور يوم قرا عتاه |
| (١) | فحكاه غير مخالف في لسونه       | لا في روائحه وطيب طباعه     |
- وقال احدهم يصفه
- |     |                     |                        |
|-----|---------------------|------------------------|
|     | بنفج جاءك في حين لا | حريري فيه ولا فرط برد  |
| (٢) | كانه لما اتينا به   | مفخص الاثواب باللازورد |

الوسون

يشبه الشعراء اوراق هذه الزهرة البيضاء \* بكؤوس البلور والنقط الصفراء في الوسط بالسنه الذهب .

- |     |                          |                              |
|-----|--------------------------|------------------------------|
|     | وسون راق مرآه ومخبره     | وجاء في امين النظار منظره    |
|     | كانه اكوس البلور قد صنعت | سدسات تعالي الله مظهره       |
| (٣) | وبينها السن قد طوقت ذمها | من بينها قائم بالملك يوم ثره |
- وهنا يشبهها ابن الابار بالثريا
- |     |                              |                              |
|-----|------------------------------|------------------------------|
|     | وسونات ارت من حسنها بدعا     | ولم يؤل عصر مولانا يرى بدعه  |
|     | شبيهة بالثريا في ثالثها      | وفي ثالثها تلتاح ملتصمة      |
|     | هامت بيمناه تبخي ان تقبلها   | ناشتره تجتلى مرآه مطلعته     |
| (٤) | ثم انثنى بعضها من بعضها قلبا | على الهدار فوافقت وهي مجتمعه |

وقيل دخل المطرف بن ابي الحباب الشاعر على المنصور في هذه الشية فوقف على روضة فيها ثلاث سونات اثنان قد تفتحتا وزاحدة لم تفتح بعد فقال :

- |     |                                    |     |                 |     |
|-----|------------------------------------|-----|-----------------|-----|
| (١) | الفتح الجزء الثاني الطبعة الازهرية | ٣٧٨ | (٢) حلية الكميث | ٢٤٦ |
| (٣) | " " " " " "                        | ٣١٢ |                 |     |
| (٤) | " " " " " "                        | ٣٤١ |                 |     |

<p>اعتاقهن من الاحياء والكسل والبعوض فضلق عنهن في شغل من بعد ما ملكت من جودك الخضل ترجو ندادك كما عودتها فصل</p> <p>(١)</p>	<p>ابدت ثلاثا من السوسان مائلة فبعض نوارها للبعوض منفتح كانها راحة ضمت اناملها واختها بسطت منها اناملها</p>
---	---

الآسسس

<p>وللى او الريحان رائحة طيبة ، وقال ابن خفاجة في صفة ريحان مطيب ورد ليلا فنبأ وراء الليل عن ام سالم كما جال ماء البشر في وجهه قادم هزنا لها زهوا نضول العائس فذكره بالدمع سقيا الغمام</p> <p>(٢)</p>	<p>لك الله من سار الى مسلم يجول به ماء النضارة والندى تنفس يهدى عن حبيب تحته يذكرنا ربا الاحبة نفعه وما الريحان للعاشقين في عرف البعوض</p>
---	--

جنان يا جنان ، اجن من البستان ، الياسمين ،  
واترك الريحان بحرمة الرحمن للعاشقين (٣)

ولم يكف شعراء الاندلس بوصف الرياحين والورد بل تعرضوا الى وصف نواوير الفاكية وازهارها ، وهذا ابن خفاجة يصف مجلس انس واخوان صدق قد فرس بين ايديهم وثنى عليه زهر النارج فقال :

<p>وندى انس هزني والليل وضاح الجبين فقصت منه حمامة والنور مبتم وخذ الورد مخطوط النقاب</p> <p>يندى باخلاق الصحاب هناك لا يندى السحاب</p> <p>(٤)</p>	<p>هز الشراب من الشباب قصير النياح الثياب بيضا تمنع من غراب مخطوط النقاب</p>
--	--

وقال آخرني وصف زهر اللوز

<p>وهجة عند ذي عدل وانصاف عليه من كل عاني القطر وكاف بيفرقت دروا في خضر اصداق</p> <p>(٥)</p>	<p>لا نور يعقل نور اللوز في انق نظام زهر يظل الدر منتثرا بيننا ترى وهي اصداق لدر حيا</p>
--	--

(١)	الفتح الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٧٢
(٢)	ديوان ابن خفاجة ١١٣
(٣)	الاول " " " ٤٢١
(٤)	" " " " ١١
(٥)	" " " " ٣٤١

وهنا يقول آخر في وصف نوار الكتان ، وقد ازهر على جانبي الخليج :

من جانيه باجفان لها حدق	انظر الى النهر والكتان يرمقه
فقابلته باحداق لها ارق	رأته سيفا عليه للصبأ شطب
حتى غدت حلقا من فوقها حلق	وأصبحت في يد الارواح تنسجها
او عند صفوته ان كت تفتيق (١)	فلم تزرها ووجه الارض مصطح

ويرحب آخر بزهر اللازورد فيقول :

في روضة الكتان تعطفه الصبا	اهلا بزهر اللازورد ومرحبا
وكشفت عن ساق كما فعلت سبا (٢)	لو كت ذا جهل لخلتلك لجة

---

(١) النسخ الجزء الاول الطبعة الازهرية ص ٤٩

(٢) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٧٧





وهكذا أصبحت الاندلس اسعد بلاد الله بكثرة الثمار واصناف الفواكه كما جاء في النفع  
 \* ويوجد في سواحلها قصب السكر والموز ولا يعدم فيها الا الثمر ، ولها من انواع الفاكهة ما  
 يعدم في غيرها او يعمل كالتين القوطي والتين السرى باشيلية . قال ابن سعيد وهذا صنفان  
 لم ترعيني لهما منذ خرجت من الاندلس ما يفضلهما وكذلك التين المالح والتين العنكب والتين  
 العسلي والرمان السرى والخوخ واللوز والجوز وغير ذلك مما يطول ذكره (١) . واختصت كل ناحية  
 من نواحي الاندلس بفاكهتها الخاصة فقد اشتهر اهل جليانة من اعمال غرناطة باعتقائهم بالفتح  
 المعروف بالجلياني المشهور بعظم الحجم وكرم الجوهر وحلاوة الطعم وذلك الرائحة والنقا . (٢)  
 وهناك نوع يفوق الجلياني حجما يكثر في مدينة شنقرة من اعمال المرية كان يمدى للملوك والامراء (٣)  
 وكذلك مدينة سرقسطة اطيب البلدان بقعة واكثرها نعمة لكثرة الفواكه في بساطينهم حتى لا يقوم ثمنها  
 بموتة نقلها لرخصها فيتخذونها سرجينا يدمنون بها ارضهم . وهذه المدينة على قمة انهار  
 متصلة الجنان والبساتين واسعة الشوارع حسنة الديار والساكن ومن فاكهتها العنب والتين و  
 والخوخ وحب الطوك والتفاح والاحاص ، ومن حبوبها القمح والفول والحبوب . (٤) وفي لقنة فواكه  
 ويقل كثير تين واهتاب (٥) . واشتهرت لورقة بالزيتون ويقال ان في احدى نواحيها موضع معروف  
 من اراد ان يتخذ فيه جنانا صرف الى الموضع العناية بالتدبير والعمارة والسقي من النهر  
 فتنتبت خصيبة (٦) . وفيه فنيانة قرب وادى آس جامعة خطيرة كثيرة الكرم والتوت والبساتين وضروب  
 الثمار وكان بها طراز الديرهاج والمياه تطرده في جميع جناتها (٧) .  
 وتسمى "تدمير" بالبستان لكثرة جناتها المحيطة بها (٨) . ونبت في بلنسية  
 الزطران ربما كثرى تسمى الازم ، في قدر حبة العنب قد جمع مع حلاوة الطعم ذكاه الرائحة اذا  
 دخل دارة عرف برائحته (٩)

---

(١) النفع الطيب المجلد الاول الجزء الاول ٦٦	(٢) النفع الجزء الاول طبعة يولاى ٧٤
(٣) النفع الجزء الاول طبعة يولاى ٨٠	(٤) الروض المعطار الحميرى ١٨
(٥) الحميرى " المجلد الاول ١٧٠	(٦) النفع المجلد الاول الجزء الاول ٣٠٦
(٧) الحميرى ١٤٤	(٨) " " " " ٣٢١
(٩) النفع المجلد الاول الجزء الاول ٢٧	

اما فاكهة العرصة فيقصر عنها الوصف حسنا (١) وطول واديها اربعون ميلا

في مثلها فيها بساتين بهجة وجنات نضرة وانهار مطردة وطيور مفردة (٢) ويحصن تنشي على  
مرحلة من العرصة التوت الكثير وفيها الحرير والقرمز . (٣)

ويحصن بيشتري وما حوله كثير المياه والاشجار والشمار والكرم وشجر الزيتون والتين

واصناف الفواكه (٤) . ويحيط بمدينة شلطيش رياض واسعة واور عذبة وبساتين حسنة فيها اطيب

الصنوبر ، وبها مراعي خصبة الارض هناك شجر التفاح والكثيرى والتين واللوز وضروب الفواكه (٥)

وتشير لورقه باللاتيني الزرع الخصيب (٦) . ومربيطر كثيرة الزيتون والشجر والاعشاب واصناف الشمار

وتلقب "شودرا" بخديير الزيت لكثرة زياتيتها (٧) . واشتهرت مرسية بالتين وهي رخيصة الفواكه

كثيرة الشجر والاعشاب واصناف الشمار (١٠) .

ويجود العوز وقصب السكر في شلوينية (١١) . ومالقة التين الذي يضرب المثل

بحسنه ويجلب حتى للهند وقيل انه ليس في الدنيا مثله وقد ذكره الشعراء كثيرا (١٢) .

وفي مالقة اشجار النارج البديعة (١٣) وهي كثيرة الخيرات والفواكه وقال احد الادباء " رايت

العنب يباع في اسواقها بحساب ثمانية ارطال بدلهم صغير وروانها المرسي الياقوتي لا نظير له

في الدنيا ، واما التين واللوز فيجلبان منها ومن اجوارها الى بلاد المشرق والمغرب (١٤)

وفي طليطلة بساتين محدقة وانهار مخترقه ورياض وجنان وفواكه حسان مختلفة الطعم والالوان

في جميع جهاتها وقراها ، ويون ماء عذبة تصلح بها الالبان والقطاني (١٥) .

ويجود القطن والمصفر بارض اشيلية وثقلا ويقبل هذه المدينة يوجد بساتين

تعرف بجنان الصلي وبها قصب السكر (١٦) ويكثر فيها الزيت والزيتون وهي كبيرة عامرة لها

اسوار مجصنة واسواقها عامرة وخلقها كثير واهلها مياسير وجل تجارتهم الزيت يتجهزون به الى

المشرق والمغرب برا وبحرا فيجتمع هذا الزيت من الشرق وهو مسافة اربعين ميلا كلها في ظل

شجر الزيتون والتين ماوله مدينة اشيلية وآخرة مدينة لبله (١٧) .

(١) النفع مجلد اول جزء اول ٣١٨	(٢) النفع مجلد اول جزء اول ٣١٨
(٣) " " " " " " ٣٢٠	(٤) الحميري ٣٧
(٥) الحميري ١٧٢ - ١٧١	(٦) " " " " " " ١٧٢ - ١٧١
(٧) " " " " " " ١٨١ - ١١٧	(٨) " " " " " " ١٨٣ - ١٨١
(٩) الحميري ١٨٣ - ٠٨١	(١٠ و ١١) الحميري ١١١ و ١١٣
(١٢) المقرئ المجلد الاول الجزء اول ٢٩٨	(١٣) المقرئ مجلد اول جزء اول ٢٩٩
(٤) " " " " " " ٣٠٠	(١٥) الحميري ١١١
(١٦) الحميري ٢١	(١٧) " " " " " " ١٩

ومن خواص مدينة شنترة القمح والشعير يزرعان فيها ويحصدان عند مضي اربعين يوما من زراعته ، ان التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة اشبار واكثر وجاء في النسخ ان ابا عبد الله ال باكوري قال " ابصرت عند المعتمد بن عباد رجلا من اهل شنترة اهدى اليه اربعا من التفاح ما يقل الحامل على راسه غيرها ، دور كل واحدة خمسة اشبار (١) ومدينة لارده مخصصة بكثرة الكتان وطيبه يتجهز بالكتان الى جميع نواحي الثغور (٢) . اما فحص اليبره فهو من اطيب القالباق نفعه واكرم الارضين تربة " ولا يعدل به مكان فيرغوطه دمشق وشارحة القيم ولا تعلم شجره تستعمل وتستغل الا وهي انجب شي" في هذا الفحص وما من فاكهة توصف وتشتظرف الا هناك وجود فيها ما لا يوجد الا بالساخل من اللوز والقصب السكر وما اشبههما ، وحرير فحص اليبره هو الذي ينتشر في البلاد ومع في الافاق وكان هذا الفحص يربو جيدة على كتان النيل (٣) . وكانوا يجفون هذه الفاكهة ويحفظونها لوقت الحاجة " فقد كانت فواكههم اليابسة عامة العام متعددة يدخلون العنب سليما من الفساد الى شطر العام الى غير ذلك من التين والزبيب والتفاح والرمان والقسطل والبلوط والجوز واللوز الى غير ذلك ما لا ينفذ ولا ينقطع الا مدة في الفصل الذي يزهد في استعماله " (٤) . وقد وصف شعرا " ونا الفاكهة والثمار بانواعها كما انهم اطروا الباقلا والخضروات ونباتات الكتان والحرير والقطن شيئا من التفاتهم وذكروها في اشعارهم وساتكلم باختصار من هذه الثمار وكيف وصفوها ممثلة عن كل نوع ببعض الابيات لاعطي القارئ نظرة سريعة واضحة عن ثمار الاندلس واثرها في نفس الشاعر الاندلسي .

### النارج

احب الاندلسيون هذه الشجرة باوراقها الخضراء وازهارها وثمارها الصفراء المائلة الى الحمولة وكثيرا ما كانوا يجلسون تحتها يشربون ويظربون وينظمون الشعر وكعادتهم في قرض الشعر كان من واجبهم ان يصفوا المكان الذي هم فيه فقال ابن خفاجة يصف شجرة نارج وصف الشرب تحتها :

انعم فقد هبت النعاصي	ونبهت ريحها الخزامي
ومل الى ايكة بلبل	يهفوا هتزازا بها قدامي
تعتر اعطافها القوافي	لها واكوابها الندامي
كان انا بها روما	تحضن من شربها يستامعي (٥)

(١) النسخ المجلد الاول الجزء الاول ٣٢٠ (٢) الحميري ١٦٨

(٣) الحميري ٢٤ (٤) الاحاطة ٣٧

(٥) ابن خفاجة الديوان ١١٢

وقال ابن خفاجة أيضا في وصف شجرة نارنج وقد خطب الطير على اغصانها اللدنة طربا مؤثرا وانتصب الماء سرورا وبانت زرجد اثمرت بالذهب :

الا انصح الطير حتى خطب	وخف له الغصن حتى اضطرب
فعل طربا بين ظل هفا	رطيب وما هناك انتصب
وجل في الحديقة اخت النى	ودن بالمداقة ام الطرب
وحاملة من بنات القنا	اما ليد تحمل خضرا العذب
تنوب مورقة عن سذار	وتضحك زاهرة عن شنب
وتتدى بها في مهب الصبا	زرجدة اثمرت بالذهب
نفاوح انفاسها تارة	وطورا نغازلها عن كئيب
فتبسم في حالة عن ونضا	وتتظر اونه من غضيب (١)

وتسأل ابن سارة فيما اذا كانت ثمار النارنج حمرا على الاغصان ام خدود ابرزتها العوادج وهل اغصانها قصب تنبت ام قدود نواجم واخيرا يهتدى اليها فيجدها كرات عتيق في فصوص زرجد و بل هي خدود في نظره ونواجم :

احمر على الاغصان اهدى نضارة	به ام خدود ابرزتها العوادج
وقصب تنبت ام قدود نواجم	اعالج من وجد بها ما اعالج
ارى شجر النارنج اهدى لنا جنى	كقطر دموع خرجتها اللواجم
جوامد لو ذابت لكنت مداومة	تصوغ البرى نيبها الاكف البواج

(١) ابن خفاجة الديوان ١١٢

(٢)

كرات حقيق في فصوص زبرجد      بكف نسيم الريح منها صوالج  
تقبلها طورا وطورا تشمها      نهن خدود بيتنا ونوائج

(١) نهي صبوتي الا تصيخ الي التهي      مروس من الدنيا عليها دمالج

ويظهر ان هذه الثمرة قد اعجبت ابن صارة والخفاجي فقال فيها ابن صارة :

يا رب نارنجة يلمو التديم بها      كأنها كرة من احمر الذهب

(٢) او جذوة حملتها كف صاحبها      لكنها جذوة محدزمة اللهب

فقال الخفاجي وقد شبه الشجرة بحسنا تهي باردية خضراء وقد خلع عليها الحيا حلي حمراء

ومياسة تزمو وقد خلع الحيا      عليها حلي حمراء واردية خضرا

(٣) يذوب بها ريق الغمامة فضة      ويجمد في اعطافها ذهبا نظرا

فاجاب ابن صارة :

ونارنجة لم يدع حسنها      لعيني في غيرها مذهبها

(٤) فطورا اري ذهبا وضربا      وطورا اري سفنا مذهبها

وهنا يلثن الفرح ايكة فيترك على ارجائها اثر :

ونبت ايك دنا من لثمتها قرح      فزار منه على ارجائها اثر

يبعدو لعينك منها منظر عجب      زبرجد ونضار صاعه العطر

(٥) كان موسى نبي الله اقبسه      تارا وجر عليها كفه الخضر

وشبه ابو الحسن الصقلي العصون بالقودود والثمار بالخدود :

تشم بنارنجة الكجنتي      فقد حضر السعد لما حضر

نيا مرحبا بقودود العصون      يا مرحبا بخدود الشجر

(٦) كان السوا همت بالنضار      فصافت لها الارض منها آكر

وتبدو حبات النارج لاي الحسن الصقلي ككرات ذهب في صولجان زمر

ونارنجة بين الرياض نظرتها      على فحن رطب كقامة افيد

(٧) واذا ميلتها الريح مالت كاكرة      بدت ذهبا في صولجان زمر

من هذه الامثلة القليلة نجد ان صور الشعراء لم تختلف فبح وصف هذه الفاكة نهي

كرات ذهب ونضار وقطع جمر ملتعبة حمراء في اوراق زبرجد وزمر على اقصان تتشتي كقوام الغيد

وقال احدهم في ليمونة وقد اهدت اليه

اهدي الي بروضة ليمونة      وشار بالتشبه فعل السيد

(٨) نصمت حينما ثم قلت كجلجل      من فضة تعلوه صفرة عسجد

(١) قلائد العقبان ٢٦٦ (٢) نفع جزء ثاني طبعة ازهرية ٣٤٠ (٣) النبع جزء ٢ ازهرية ٣٤٠  
(٤) ١١٢ (٥) ٣٤٠ (٦) ١١٢ (٧) ١١١ (٨) ٢٥١

## الرمسان

ولانتشار الرمان في الاندلس اسطورة لطيفة . قيل عندما ارسل عبد الرحمن الداخل رسوله الى الشام لاحضار اخته الى الاندلس جلب معه طرائف من رمان الرصافة النضوية الى هشام فعرضه عبد الرحمن على خواص رجاله مباحيا به وكان فيما بينهم وبينهم حضر منهم عبد سمر بن يزيد الكلابي من جند الاردن فاخذ من ذلك الرمان جزءا فسار به الى قرية بكورة ربه ، فعالج عجمه واحتال لغرسه وقذائه وتنقلبه حتى طلع شجرا اثمر وايض فتحزع الى عرفه واغرب في حننه . واحضر بعض ثماره الى عبد الرحمن فاذا هو اشتهه شي بذلك الرصافي فساله الامبرضه فعرفه وجه حيلته فاستبرج استتباطه واستتبل همته وشكر صنعه واجزه صلته واقترس منه بيمينها للرصافة وغيرها من جنانه فانتشر نوحه واستوسع الناس في فرائسه وصار يعرف منذ ذلك الحين بالرمان السفري وهو يمتاز بعدوية الطعم وورقة المعجم وفزارة الماء وحسن الصورة (١) وقد وصف هذا الرمان محمد بن روح الشاعر في ابيات كتب بها الى بعض من اهداه له :

ولايسة صدفا احمررا	اتتك وقد ملئت جوهرا
كانك فاتح حق لطيف	تضمن مرجانه الاحمررا
حبوبا كمثل لتات الحبيب	لا رضاها اذا شئت او منظررا
وللسفر تعزى وما سافرت	فتشكروا لتي اورتقاس الشوى (٢)

وشبه آخر حبات الرمان باسنان الليث الضرجة بالدم :

وساكنة في ظلال الغصون	بروض يروقك امنلانه
تضاحك اترابها نيه اذا	غدا الجوتد مع اجرفانه
كما فتح الليث فاه وقد	تضج بالدم اسنانه (٣)

وقال ابن نزار الوادي اشى فيه :

ورماتة قد نضرت منها ختامها	حبيب اطرا البدر بعض صفاته
فكسر منها نهد عذراء كاعب	وتاولتي منها شبيه لذاته (٤)

(١) النفع الجزء الرابع طبعها زهرية ٤٦

(٢) النفع الجزء الثاني طبعها زهرية ٣٤١

(٣) النفع الجزء الرابع طبعها جديدة ١٤٦

(٤) الثاني \* \* \* \* \* اذهرية ٣٤١

وتربي صبية بحبات بندق الى ابن رافع فتقع عليه كمثل الجلجل او كرة قد تلت

من صندل

جلوزة من كف ظبي غزل	روي بها نحوي كمثل جلجل
او كرة قد تلت من صندل	تكسر عن حرير لم تغزل
حمرة فوق يياض يمتلئ	من حسنها المستظرف المستكمل

في مطعم الشهد وعرف الصندل (١)

وقال ابو بكر بن القرطبية يشبه الفستق بالصدف الابيض فيه جوهر اخضر :

صدف ابيض نقي	ذو بهاء وروى
صفر عن جوهر	اخضر فيه مطبق

كل صبغ يعوى الى لونه قيل فستقي (٢)

اما الصنوبر فيشبهه ابن رافع بجامح العنبر

يا حسنه في العين من صنوبر	يحكي لنا جامحا من عنبر
يخلق عن حيا اذا لم يكسر	صندل ان شئت او معصفر

كبل اصداف نفيس الجواهر (٣)

اما القسم الثاني فيحتوي على الفاكهة التي لها نوى ولكنه لا يوركل منها :

الرطب والتروقد قال محمد ابن شرف القبرواني يشبهها بشراييت العميق تمتع بالنضار

ومطبوخ بغير عقيد نار	عزمت على جناه باهتكار
تواييت تهبت من عقيق	قد تمتع بنضار
تري لصفاء جوهرها نواها	كالسنة العصاير الصغار (٤)

وقال في التمر

اما ترى التمر يحكي	في الحسن للنضار
مخازنا من عقيق	قد تمتع بنضار
كانا زعفران	فيه مع الشهد جارى
يشف مثل كؤوس	مطووة من عسقار (٥)

(١)	التومرى الجزء الحادى عشر	١٢	(٢)	التومرى الجزء الحادى عشر	١٥
(٣)	" " " " "	١١	(٤)	" " " " "	١٢٨
(٥)	" " " " "	١٢٨			

ويبدو الزهرور لابن رافع جلاجل مخضوية او كرات طيبق :

- كانا الزهرور لما بدا  
 جلاجل مخضوية عندما  
 يشوع من رياه اما هنا  
 في حسن تقدير ومراى انيق  
 او خرزات خرطت من عقيق  
 به نسيم الريح مسك فتقيق (1)
- وقال ايضا :  
 انظر الى زهرورنا المنعوت  
 كانه في الوصف والنعوت  
 نكته كالعنبر الفتوت  
 بنادق من احمر الياقوت (2)

ويستهوى الخوخ في اثوابه المخفية انظار ابن القرطبية فيقول :

- وطيب الريق عذب آف في آف  
 في مخمل الثوب لم تحمل براسته  
 خالسته نظرى فاحمر من خجل  
 من اسه فيه ظلوا ومبتدئا  
 وزار مشتلا في زى اعراب  
 بين الفواكه من نفس ولا طاب  
 ثم انتنى معرضا عني كسرتاب  
 اربى على اللوزي شطريز جليا ب (3)
- وقال ايضا يشبهه بوجنة فادة خانت الرقيب فغطت وجهها بحر البنسان :
- ونبت ندى مخططة الاعالي  
 كوجنة فادة خانت رقبيا  
 بحمر كلون الارجسوان  
 فغطتها بحمر البنسان (4)
- وما وصف به القراسيا ، وتعرف في الاندلس بحب الملوك :

- ودج تهدل اشطانه  
 لما احمر منه نصوص عقيق  
 روى الدهر من حسنه ما اشتهى  
 وما اسود منه عيون المسيا (5)

واما المشمش فقد قال فيه احدهم يشبهه بجلاجل لبذهب

- كانا المشمش لما بدت  
 خضر قباب الملك حقت بها  
 اشجاره وهو بها يلتهب  
 جلاجل مصقولة من ذهب (6)

ويجذب لون العناب الاحمر انظار الشعراء فهو تارة وجنات معشوق حمراء ، واخرى خرزات

- عقيق  
 احبب بعناق بدا انيق  
 او خرز لمت من العقيق  
 جاءت بها شغواء راس نيق  
 كمثل لون وجنة المعشوق  
 او كقلوب الطير في التحقيق  
 كانا اشتق من الشقيق  
 احلى من السكر في الخلق  
 في نكته العنبر والخلق (7)

138	(2)	التويرى الجزء الحادى عشر	137	(1)	التويرى الجزء الحادى عشر
140	(4)	" " " "	140	(3)	" " " "
141	(6)	" " " "	341	(5)	النفح الجزء الثانى طبخة ازهرية
			143	(7)	التويرى الجزء الحادى عشر



وتتدلى اثمار العناب على اشجاره كاقراط الياقوت

كأنما العناب في دوحه  
 اقراط ياقوت تهبت لنا  
 لما تناهى حسنه واستتم  
 او انمل قد طرفت بالعم (١)

بقي علينا الان الباب الثالث وهو الذي ليس لثمره قشرو ولا نوى وهو يحتوى على العنب والتين والتوت والتفاح والسفرجل والكشوى والاتيح وقد وصفها الشعراء باشكالها المختلفة ولم تتعد اوصافهم الشكل والرائحة واللون . وساكفي بتقديم امثلة قليلة على بعض هذه الثمار لتكون لدينا صورة عاممة عنها ونظرة الشعراء اليها . ولنجعل العنب اولها وقد وصفها الشعراء كثيرا واهتموا بها لان منها يستخرج الخمر

العنب

قال ابن زيدون وقد اهداء :

قد بعثناه يفتح الاضواء  
 جاء يزهز بصتشف رقيق  
 حين يجلو بلفظه السحنا  
 تنفذ العين منه في ظرف نور  
 خدع العين رقة وصفا  
 اكسبه الايام برد هوا  
 ملأته ايدى الشمس ضيا  
 نهو جسم قد صيغ نارا وصا  
 مظهر يبيح القلوب وطعم  
 يسكر النفس بشده استعرا (٢)

واما في التين فقد قال ابن خفاجة وظهر انه كان تينا اسود

رسود الوجوه كلون الصدور  
 اذا ما تطلت بياض الضحى  
 تبسم تحت عيوس الشمس  
 تطلعن في وجهه كالنصف  
 كاني انظف منه ضحى  
 كدى صفار بنات الحبسى (٣)

ولما كان للتين عشاق كان له مبغضين ايضا فقد قال ابن شرف القيرواني يذمه :

لا مرحبا بالتين لما اتى  
 مزق الجلباب يحكي لنا  
 يسحب كالليل عليه وشاح  
 هامة زنجي عليها جراح (٤)

(١) النهري الجزء الحادى عشر ١٤٢ (٢) النهري الجزء الحادى عشر ١٥٢

(٣) " " " " " " (٤) " " " " " " ١٦٠

ولا يذكر اللون الاحمر الا بالجراح

- (١) وانى به الناظور في جسم  
 يحكي جراحا دها سائل  
 لقدى جسم من بني حسام
- وقد قال بعض الاندلسيين وقد اهداه  
 فاهديته غضا حكي صدق المها  
 لعنه منظر بالحسن منه يروق  
 فذا سيج لط يرى باسوداد
- (٢) وهذا الاحمرار اللون منه عقيق

### التفاح

كثر التفاح في الاندلس كما راينا وقد كان يتهداه الخلفاء والامراء وطامة الناس  
 وقد قال احد الشعراء في هدية تفاح نصفها احمر والنصف الثاني اصفر وقد شبهها شاعرنا بخدود  
 حمر بعضها وجل التراق

- خدود حمر واقينا صبا  
 فحمر بعضها خجل التراقي
- وقال صفوان ابن ادريس يصف تفاحة في ماء  
 ولم ارقب تشتهي العين مشفرا  
 يبيض عليها ماؤها فكانت سها
- وعدن على ارتاغ واحتواق  
 وصف بعضها وخجل التراقي
- (٣)
- كتفاحة في بركة بقرار  
 بقية غذي اخضرار عذار
- (٤)

وقال ابن زيدون وقد اهدى تفاحا ولم يختلف معناه وتشبيهه عن سبقه فيحمر التفاح كوجه الحبيب  
 خجلا وصف وجلا

- اتتك بلون العبيب الخجسل  
 شطرت ضمن ادراكها  
 تاتي لتدرج تلطيفها  
 الى ان تناهت شفاء العليل  
 فلو تحمد الراح لم يعدها  
 فبولكها نعمة غصبا
- تخالط لون الحب الوجسل  
 هوا احاط بها معتدل  
 فمن حرشس الى برد ظل  
 وانس الخليل ولهو الغسل  
 وان هي ذابت فراح يجسل  
 وفضل بما جثته مستهل
- (٥)

وتختلف الصور عند ابن سميذ فهي تارة حسناء جاءته في حلة بيضاء مشرقة في حمرة كالثقاد النار  
 وطورا حمرة مزجت بالما ، او نصف لؤلؤة اتصلت بياقوتة حمراء

(١) البهري الجزء الحادي عشر ١٦٢  
 (٢) البهري الجزء الحادي عشر ١٦٢  
 (٣) قلائد العقيان ١٤٢  
 (٤) الفح الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٥٩  
 (٥) نهاية الارب الجزء الحادي عشر ١٦٥

بديعة اللون من نور السرور بها	في كل حسن وطيب يضرب المثل
جاءت في حلة بيضاء مشرقة	في حمرة كاتقاد النار تشتعل
او قهوة مزجت او نصف لؤلؤة	بنصف ياقوتة حمراء تتصل

واشتهر تفتح الاندلس بحلاوة الطعم وذكاء الرائحة والنقاء فقال احدهم يصف اريج التفتح

مجال العين في ورد الخدود	يذكر طيب جنات الخلسود
وأرجة من التفتح تنزهـ	بطيب التشر والحسن الفريد
اقول لها فضحت الصك طيبا	فقال لي بطيب ابي الوليد

السفرجل

جمعت السفرجلة في نطقة نظر الشاعر الاندلسي اربعة صفات جميلة

سفرجلة جمعت اريـ	نظمن لها كل معنى عجيب
صفا انتضار وطعم المقار	ولون الحب وريح الحبيب

وتتراءى السفرجلة لاخر كحسنا تختال في ثوب صنع من السندس ، وقد تعطرت بمسك ذكي ،  
ويذكر لونها الاصفر بلون محب الذي قد كسي بحلة من السمق

ومصفرة تختال في ثوب سندس	وتعبق عن مسك ذكي التنفس
لها ربح محبوب وقبوة قلبه	ولن محب حلة السمق قد كسي

من هذه الفاكحة الاجاص فقال ابن بطال الاندلسي يصفه

بعثت ما يندر لكنته	في وصفه الناصت لم يبسرر
جيشا من الزنج ولكنه	جيش حتى يلقي العدا تيقهر
ينفي لك الصفراء مهزومة	والزنج اعداء بني الاصغر

ولقد وصف الشمرا ثمر الاتيج وقد اهجها لونها الاصفر ورائحتها الذكية فقال علي بن سعيد

الاندلسي	ومصفرة اللون لا من هوى	تكابد منه علاقات همم
	ولكن كساها سمع الهجير	جلابيب تير بتضريح دم
	واكسبها طيب تشر العبير	وربح الحبيب اذا ما يشم
	عروس تزف الي شاهما	على كف اغبيد مثل الصنم

ولعل اجمل ما قيل في وصف هذه الثمرة قول ابو بكر بن القرظبية حين قال يصفها

ججسم من النور في ثوب من النار	كانه ذهب من فوق بلار
وابيض باطنه واصفر ظاهره	كانه درهم من تحت دينار

(1) النويرى جزء 11 ص 166 (2) التفتح جزء (2) ازهرى 350 (3) النويرى جزء حادى عشر 170  
 (4) " " " " " (5) النويرى جزء (11) 170 (6) " " " " " 181  
 (7) " " " " " 183

ولم يكف الشعراء بوصف الثمار فقط بل تعرضوا الى وصف الاشجار . قال ابن خفاجة يصف شجرة منورة :

يا رب مائة المعاطف تزدهي	من كل فصن خافق بوشاح
ممتزة يرتج من اعطافها	ما شئت من كل يمعج رداح
نفخت ذوائبها الرياح عشية	فتلكنها هزة المرتاح
حط الريح قناعها من مفرق	شمط كما ترتد كأس السراج
لقاه حاك لها الغمام ملاءة	لبست بها حسنا قميص صباح
نضح الندى نوارها فكانما	مسحت معاطفها يمين سماح
ولوى الخليج هناك صفحة معرض	لثمت سوائفها تغور اقحاح

(١)

وقال ابن خفاجة ايضا :

وسرحة خاض منها ظلها نهرا	اوفت عليه فلم تنقص ولم تزده
كما تدانيت من ثغر لمرثف	ثم انتثيت فلم تصدر ولم ترد
كان افنانها طيب حتى ملك	اغضى واعطى فلم يوعد ولم يعد

(٢)

وقال آخر يخاطب شجر السرو

ايا سرو لا يعطش منابتك الحيا	ولا يدعن اعطافك الخضر النضر
فقد كسيت منك الجذوع بمثل ما	تلف على الخطى راياته الخضر

(٣)

وهناك امثلة كثيرة في وصف الاشجار ولكنني ساكتي بهذا القدر القليل في الوقت الحاضر .

(١) ديوان ابن خفاجة ٣١ (٢) ديوان ابن خفاجة ٤٣ ٤٦

(٣) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٤١

كثرت الحدائق والرياض في الاندلس كما تقدم حيث كان يخرج اليها الناس ليتسامروا ويتجاذبوا اطراف الحديث بقرب جدول ماء وتحت ظلال الاسجار ، ويرجع الفضل في ازدهار هذه الرياض وانتشار هذه المنتزهات الجميلة الى الخلفاء والامراء الذين اظهروا ولدا ولما خاصا في هذه الناحية فشيّدوا القصور الفخمة تحيط بها الجنائن والحدائق الرائعة وبنوا المنتزهات الخاصة والغامة كما اشتهر عهد الرحمن الناصر بقرى الرصافة ومنتزهاته (١) حاذيا حذو رصافة جده بارض الشام وقد كان مقرا حسنا تحيط به اندر الازهار واثمن الاثمار وقد كان كبير التردد اليه يسكنه اكثر اوقاته . وكما فعل الناصر (٢) ببنائه لمدينة الزهراء للتنزه والسكن وكانت بمثابة منتزه يومه الناس للتنزه والترجيع عن النفس . والزاهرة تشهد على عظمة المنصور ابن عامر حينما سما الى ما ست اليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة الموصوفة بالقصور الباهرة واقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الاعظم (٣) واطلق بساحتها الارجا ثم اقطع ما حولها لوزرائه وكتابه وقواده وحججه فابتنوا بها كبار الدور وجليات القصور واتخذوا خلالها المستغلات المفيدة والمنازه المشيدة . . . وتناس الناس بالنزول باكتافها والحلول باطرافها للدنو من صاحب الدولة وتناهي الغلو في البناء حوله حتى اتصلت ارياضها بارياض قرطبة وكثرت بحوزتها الحطارة (٤) واشتد ملك محمد ابن ابي عامر منذ نزل قصر الزاهرة وتوسع مع الايام في تشييد ابنتها حتى كملت احسن كمال وجاءت في نهاية الجمال نقاوة بناء وسعة فنا واعتدال هوا رقى اديمه وصقالته جو اعقل نسيمه ، ونضرة بستان وهجة للنفوس فيها افتتان (٥)

وكثرت المنتزهات في قرطبة وضواحيها ، وقد بنى بنو امية قصر الدمشق في قرطبة وتفننوا في بناء وتنسيق ساحاته واتخذوه ميدان مراحمهم وضمار افراحهم وانشراحهم وحكوا به قصرهم بالشرق (٦) وقد انشد فيه ابن عامر بعد ان تنزه فيه هذه الايات ونسبها البعض للصحفي

كل قطر بعد الدمشق يذم	فيه طاب العيني ولذ الضم
منظر رائق وما نيسر	وثرى عاطر وقصر اشم
بت فيه والليل والفجر عندي	عبر اشهب وسك احم (٧)

(١)	النفح الجزء الرابع المجلد الاول طبعة جديدة ١٢٢٣	(٢)	النفح مجلد اول جزء ٤ ٢٧٣
(٣)	النفح الخامس	(٤)	٨٦
(٥)	٩٠	(٦)	١٣٠
(٧)	١٣١		

وهناك منتزه يعرف " بنضية الزبير " ابن الطم م ملك قرطبة وهو بستان جميل تجرى فيه  
الانهار وتكثر الانوار والازهار وقد قال فيه ابن بقي يذكره بالخير :

سقى الله بستان الزبير ودام في	ذراه مسيل النهر ما غنت الورق
فكائن لنا من نعمة في جنبه	بكرة الخضراء طالعتها طلسق
هو الموضع الزاهي على كل موضع	اما ظله ضاف اما ماؤه دلسق
اهيم به في حالة القرب والنوى	وحق له مني التذكر والعشيق
ومن ذلك النهر الخفوق فواده	بقلي ما غبت عن وجهه خفسق (١)

وهذا يدل على مقدار حب الاندلس لهذه المنتزهات الجميلة . ومن القصور المقصودة للنتزه  
ايضا القصر الفارسي (٢) ومن المنتزهات المشهورة مرج الخنجر (٣) ولقد قال فيه الشعراء " الشبي"  
الكثير وهناك فحص السراقي وهو من منتزهات قرطبة المشهورة وهو " مقصود للفرجة يسرح فيه  
البصر وتبتهج فيه النفس وقد قال فيه الاصم القرطبي (٤) :

الا فدعوا ذكر العذيب وبارق	ولا تساموا من ذكر فحص السراقي
مجر ذبول الشكر من كل شرف	ومجرى الكؤوس المتواتر السوابق
ايا طيب ايام تقضت بسروضة	على لح غدوان وشم حدائق
اذا فردت فيها حمام دوحها	تخيلتها الكتاب بين المهارق (٥)

وهناك منتزهات كثيرة جميلة منها الصلي ، ووادى العقيق ، والمرج النضير ،  
وادى الديسر ، وطحاء ، عيرون والعقاب ومن شهدة وغيرها . ولولا غلظة خوفي على القارى'  
من الطبل لذكرت جميع هذه المنتزهات الخلافة التي ضاقت بها الاندلس وخلدها الشعراء  
بقصائدهم . وكانت هذه المنتزهات ملجأ امينا لطلاب المتعة ورواد اللهو والسرور يذهبون اليها  
مع حبيباتهم وخلانهم يقضون النهار في لهو ومرح وقد صور لنا ابن عبود الرياحي يوما من هذه  
الايام الجميلة بموشحة لطيفة :

بالله يا حبيبي	اترك ذا التفار
واعمد ان تطيب	في هذا التفار
واخرج معي للوادي	نشر العقار
تتم نهارنا	في لذة وطيب
في الارحبا والا	في العرج الخصيب

(١) نفع مجلد (١) جزء ٤ طبعة جديدة ١٣٠	(٢) نفع مجلد (١) جزء ٤ طبعة جديدة ١٣٨
(٣) . . . . . ١٣٧	(٤) . . . . . ١٣٨
(٥) . . . . . ١٤١	

او عند التواضع	والروض الشريق
او قصر الرصانة	او وادي العتيق
رحيق والله دونك	هو ضد الحريق
وفي حبك احسبت	ني اهلي فخر سب
وما الموت ضدى	الا حين تغيب (١)

ولا عجب اذا ان يظل صاحبنا مسرورا مهتجا ما دام قد اجتمع لديه الماء والخضراء والشكل الحسن والله در الشاعر حين قال :

ثلاثة تقضب عن النفس الحزن الماء والخضراء والشكل الحسن .  
وهناك شعراء لم يكتفوا بقضاء النهار في هذه المنتزهات بل كانوا ياتون الليل في سر وفرض الشعر . وقد بات ابو الحسن بن سعيد مع اولاده في حوز موئل في جنة له هنالك على ما يبيت عليه اهل الظرف والادب فقال في ذلك :

رعى الله ليلا لم يرح يخدم	عشيتة وارانا بحوز موئل
وقد نفحت من نحو نجد ارجة	اذا نفحت هبت برها القرنفل
وفرد قمرى على الدج وانتنى	قضب من اللهبان من فوق جدول
يرى الروض مسرورا بما قد بدا له	عناق وضم وارتشاف قبيل (٢)

فقال مجيبة

لعمر ك ما سر الرياض بوصلنا	ولكنه اهدى لنا الفل والحسد
ولا صفق النهار ارتياحا لقرنا	ولا غرد القمرى الا لما وجد
فلا تحسن الظن الذي انت اهله	في صوغ كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الاق اهدى نجومه	لامر سوى كي وا تكون لنا لا رصد (٣)

وهذا شاعر آخر يذكر منتزه الحوز وينصح الذهاب اليه ان يومه في الصباح قبل ارتحال الندى\* وان ياخذ معه المغني والراح

عرج على الحوز وخيم به	حيث الاماني ضائيات الجناح
واسبق له قبل ارتحال الندى	ولا تنزه دون شاد او راح

ان هذه البلاذ الجميلة العذبة هي التي طبعت ابناءها على حب اللهو وطلب المتعة ، فقد كان على بن محمد بن شفيح البسطي يقول \* لو طبعت على الزهد لحطني حسن بلادى على العجون والتعشق والراحات (٤) فلا عجب اذا ان نرى منتزهات الاندلس ملاهى بمجالس الطرب والشراب يتسابق اليها الامراء والخلفاء قبل عامة الشعب وكانت تزدهن هذه المجالس بالنكات الادبية والظرف الجم يتناشد فيها الشعراء فيها عيون الشعر بل كثيرا ما كانوا يرتجلون القصائد البليغة حتى ان

الكثير من هؤلاء الشعراء كانت لا تهيج قرائحهم الا اذا جلسوا الى الشراب فقال احدهم يشرب وصف المنتزه الذي جلس فيه :

هات المدام فقد ناع الحمام طلسي	فقد الظلام وجيش الصبح في قلب
واعين الزهر من طول البكا رمدت	فكحلتها يمين الشمس بالذهب
والكاس حلتها حمراء مذهبة	لكن ازرتها من لؤلؤ لا الحبيب
كم قلت لللاق لما ان بدا صلقا	بشمسه عندما لاحت من الحجب
ان تهت بالشمس يا افق السياه فلي	شمسان تدعي وابنة العنكب
ثم اسقنيها وشفر الصبح مبتسم	والليل تبكين عين البدر بالشهب
والسحب قد لبست سود الثياب وقد	قامت لترثيه الاطياف في القضب (١)

وقال آخر يطلب الشراب في هذه المجالس ولعل اللؤلؤ المنثور وثوب الذهب هما اللذان دفعا به الى

الشراب : ثم اسقنيها وليل الهم منهزم والصبح اعلاء محمرة العذب

والسحب قد نثرت في الارض لؤلؤها تضمن الشمس في ثوب من الذهب (٢)  
واجتمع ابو جعفر مع ابن سيد في احدى هذه المنتزهات وقد جلسا للشراب ، فقال ابو جعفر وقد قارت الشمس للغروب ومد لها في النهر معصم بخضوب

انظر الى الشمس قد الصقت على الارض خشنا -

فقال ابن سيد : هي المرأة لكن	من بعد ما الاتق يصدنا
فقال ابو جعفر : مدت طرازا على النهر	عندما لاح بردا
فقال ابن سيد : اهدت لطرفك منه	فللأكام يمدى
ابو جعفر : درج اللجين عليه	سيف من التبر مددا
ابن سيد : فاشرب عليه هنيئا	وزد سرورا وسعدا

في النهر والى النجم قد طلعت فيه فقال ابن سيد :

اخلع على النهر ثوب الكرى فذلك واجيب

ابو جعفر : وانظر الى السرج فيخ كالزهر ذات الذوائب  
وحين صفت لللاق نقطت الكواكب

فقبل ل ابن سيد راسه وقال ما تركت بعد هذا مطلقا لقاتل ثم جعلوا يشربون فقال ابو جعفر

اسقيني والافق برد بنجوم الليل معلم

ابن سيد : وساط النهر منها وهو نضي مدرهم



فقال ابو جعفر:	وساط الليل مرخي	والشذا بالليل قد نم
ابن سيد:	والندى في الزهر منشو	رعلى مفقد منظم
ابو جعفر:	والصبا جرت على ميت الطلى	كف ابن مريم
ابن سيد:	كان مبهوتا فلما	نفخت فيه تكلم
ابو جعفر:	وكان الكاس والقهوة	دينار ودرهم
ابن سيد:	وبدا الدف ينافي	العود والمزمار هم
ابو جعفر:	فاذاع الانس منا	كل ما كان مكنم
ولما طلع الفجر قال ابو جعفر:		
نثر الليل عتوده		ونضا الليل بروده
ابن سيد:	وبدا الصبح بوجه	مطلع فينا معنوده
ابو جعفر:	فغدا ينشئ لما	فتر الليل بسنوده
ابن سيد:	فهل اشرب وقيل	من غدا ينطق عوده (١)

ولا يقدر ابن حمديس ان ينسى طهقة بلاده لحظة واحدة حتى ولا الخمر تقدر ان تفصله عنها ، فهو يحب الطبيعة في كل وقت وللطبيعة سحر ودلال وللطبيعة روعة وجمال ولا يطيب له الخمر الا في جوها الاخاذ

مرحبا بالشمس في غير صباح	طرفت والليل ممدود الجذاح
كاهن ماء ضم للكوكبي للوكر جناح	فالقضيب اهتز والبدر بهدا
باقة من ياسمين اواقاح	وكان النرب منها ناشق
من ظلم الليل على الظلماء لاح	وكان الصبح ذا الانوار

فكل ما في هذا الكون الجميل قد تحرك وثار ومدت زينتته ، اغلا يحق للانسان ان يقبل على

الخمر فيطرب مع هذا العالم الطروب ؟؟

سبق الارواح موشى البطاح	في حديق غرس القيت به
ثم تعطيه ازاهير صراح	تعقل الطرف ازاهير به
فتربت فيه قاطات الصلاح	ارضع الغيم لبلدنا بهانه
رعدة النشوان من كاس اصطباح	كل غصن تعترى اصطافه

ولم يختلف ابن خفاجة شاعر الطبيعة عن زميله ابن حمديس ، واليك هذه المقطوعة الجميلة يصف الطبيعة في رحاب الخمر فيقول :

وهنا القضيـب فما افـض وانـضرا القت على وجهي قناعا احـمرا وردا* شمس قد تمزق اصـفرا رطبا وتفتق من غمام غـميرا	ندى النسيم فما ارق واضـرا فزفتها بكرا اذا قبـلتها ورفـلت بين قيعـس نسيم هـلـل والريح تنخل من رذاذ لؤلؤ*
--	--

فقال آخر طلب الشراب :

او ما ترى زهر الرياض غـفـورا وتظن نرجسها حبا مدنفا والياسمين حباب ما* قد طفا	قم يا نديم ادر على القرقا فتخال محبوا مدلا وردها والجنار دما* قتلى معرك
--	---

تمتاز سكا من اريج البطاح بعض كما يثني القدود ارتياح شقت جيوب الصبر قصف اذا واسترقصتني الـروح عند الـروح	وكن مقيما منه حيث الصبا والقضب مال البعض منها على وشق جيب الصبر قصف اذا لم احص كم قاديته ثابتا
--	---

وهذه المنتزهات عند البعض معاهد للحسن زواظن للجمال وملتقى الانس والبهجة حيث تسجع فيها الطيور وتتجلى فيها البدور

ولانس النقاء اليهجتين لدى الاسحار اطوب سلجمين ومن بطحائها في مطلع عين ومن ثمر القلوب تمر تحبين عجبت من النقاء السوسنين ومن زاهرتها في حلتي عين ود ولا ب يدور بصمم عين سحائب من ظلال الدوحتين عليه كل غصن كالرد عين صبا وفتق المتلاعبين	وابن معاهد للحسن فيها وللاوتار والاطيار فيسها فكم بدر تجلى من رباها واغيد يرتعي من تلعبتها اذا هي لسونه يمينها وكم يوم توشح من سناء روح اصيلة من بين نسهر بنهر كالسما* يجول فيسه تدرج للنواسم حين هزيت ملاصبي في فراي عند ذكرى
---	---

وكثيرا ما كانت هذه المنتزهات تثيرني قلب الشاعر مواطن كائنه فيهدد هاملي اوتار الشعر الجميل بنغمة سحرية طيبة . فيقول ابو الوليد الجنان بن الطب بانه الوادي :

(١) ديوان ابن خفاجه (٢) النفع الجزء الاول الطبعة الازهرية ٣١٤  
(٣) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٠٠ (٤) الثاني \* \* \* ٣٤٢

يا بانه الوادى اذا اضطرت	تلك المعاطف حيث الشيخ والغار
فماعتقها عن الصب الكتيب فط	على معانقة الاغصان انكار
وهرفها بانى فيك مكثب	فبعض هذى لها بالحب اغبار
وانتم خيرة الجرحاء من اخم	لي في حطام احاديث واسمار
وانتمو انتموني كل آونة	وانما حبكم في الكون اطوار
ويا نسما سرى تحد وركائبه	لي بالغدير لبانات واوطار (١)

فلا عجب اذا ان يتحرق ابن القرطبي ويتشوق الى المنتزهات القرطبية عندما كان في مراكش ونسى القصيدة عند اهد الاندلس "كنز الادب" ومنها يقول :

صاح كم بها سرحت من كمد	قلبي وطرفي ولا سلوان يثيني
بين الصلي الى وادى العتيق - وما -	يزال مثل اسم منذ بان يبكيهني
الى الرصافة فالمرج التضير فوا	دى الدير فالعطف من بطحاء عيون
لباب عبد سقته السحب وابلهما	فلم يزل بكؤوس الانس يسقييني
لا باعد الله عيني عن منازلهم	ولا يقرب لها ابواب جيرون

ومنها يتطلب الشاعر ان يكون له عمرنج ومال قارون :

قطر نسيح ونهر ما به كدر	حفت بشطيه القاف البساتين
ياتليت لي عمرنج في انامتها	وان مالي فيه كنز قارون
كلاهما كنت اتنيه على نسا	ت الراح نهبها ووصل الحور والصين (٢)

ولا بن زيدون قصيدة طهولة في ذكر منتزهات قرطبة ومغانبها مطلعها

خليلي لا فطر يسر ولا اضحى	فما حال من اسمى مشوقا كما اضحى
---------------------------	--------------------------------

ومن اجمل ما قيل في هذه المنتزهات هذه القصيدة البليغة عمطيك صورة واضحة شاملة من جمال

هذه المنتزهات وبها ناتي ما جعلها مسك ختام هذا الفصل

ابدت لنا الايام زهرة طيبها	وتسربت بنضيرها وتشيبها
واهتر عطف الارض بعد خشوعها	ويدت بها النعما بعد شحوبها
وتطلعت في عنفوان شبابها	من بعد ما بلغت (عني) مشيبها
وقفت عليها السحب وقفة راحم	فبكت لها بعيونها وقلوبها

(١) النفع المجلد الاول الجزء الرابع الطبعة الجديدة ٤٢٠ - ٢٢٢

(٢) " " " " الخاص " " ٢٢٠

فمجهت للازهار كيف تضاحك  
وتسربت حللا تجر ذيولها  
فلقند اجاد العزن في انجادها  
ما نصف الخيري يضح طيبها  
وهي التي قامت عليه بدننها

ومنها وهي سماه الياسين كواكب  
زهر توقد ليلك ونهارها  
فضلت على سير النجوم باسرها  
نظارتها ارجاؤها بهيولها  
وتصوت فيها نروع جدا ول  
تطفو وترسب في اصول ثمارها

ومنها  
او ما ترى الازهار وما من زهرة  
والطير قد خفت على اقنانها  
تشد وتهتر النخون كانما  
الا وقد ركبت فنار قضيبها  
تلقي ننون الشدوني اسلوبها  
حركاتها رقص على تطريبها

(١)

## المصادر

### ١ - الجداول والانهار - السواتي والغدران

بطاح خضراء يانعة وسفوح تمنمنها الازاهر، وادواح ملتفة رقص الطير على اقصانها،  
وانهار تنفجر من اعالي الجبال بصخب وزمجرة الى جداول رقراة تنهادي وتتعايل مخترقه المروج الخضراء  
كالحملان الوديعة الى اخرى تنعطف وتتलय كالاراقم . وترسل الشمس اشعتها فتغلها بغلالة ذهبية  
رقيقة، والقمريضفى سناء مطوقا فيكسبها جلالاتا وروعة . وتحنو الاشجار على الضفاف فتميل وتنثني مداعبة  
وتضحك الزهور والاقاخي على الجوانب مسرورة مبهجة . وامام هذه الفتنة الصارخة وهذا الجمال الاخاذ  
لا يتمالك الشاعر الاندلسي الا ان يصح من اعماق قلبه :

تلك المنازل والملا	عب لا اراها الله محلا
حيث التفت رايت ما	سائحا ورايت طلا
والنهر يفصل بين زه	الروض في الشطين فصلا
كسباط وشي جرودت	ايدى القيون عليه نصلا (١)

جزيرة احدقت بها البحار فاكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جانب وكثرت بها الانهار  
والعيون حتى قال ابن اليسع " ولا يذود فيها احد ما حيث سلك لكثرة انهارها وعيونها وربما لقي المسافر  
فيها في اليوم الواحد اربع مداين ومن المعامل والقرى ما لا يحصى وهي بطاح خضرقصويربيض (٢) .  
ومن انهارها العظيمة نهر اشيلية كما جاء في النسخ فليس في الارض اتم حسنا من هذا النهر، يضاهي  
دجلة والفرات والنيل، وكانت القوارب تسير في هذا النهر للفرحة والسير والصيد تحت ظلال الشمار  
وتغريد الاطيوار اربعة وعشرين ميلا ويتعاطى الناس السرح من جانبيه عشرة فراسخ في عمارة متصلة  
ومنارات مرتفعة وابراج مشيدة وفيه من انواع السمك ما لا يحصى (٣)

ولعل احسن ما قيل في وصف الاندلس هو شعر ابن سفر المريني ان يقول :

في ارض اندلس يلتد نعماء	ولا يفارق فيها القلب سرا
انهارها فضة والسمك تريتها	والخز وجنتها والدر حصبا
وللهوا بها لطف يرق به	من لا يرق وتبدو منه اهوا
ليس النسيم الذي يهفو بها سحرا	ولا انتثار لآلي الطل اندا
وانما ان الند استثار بها	في ما ورد فطابت منه ارجا

(١)	النفح	المجلد	الاول	الجزء	الاول	الطبعة	الجديدة	٧٢
(٢)								٨٢
(٣)								٨٢

الى ان يقول :

قد ميزت من جهات الارض حين بدت  
دارت عليها نطاقا ابخر خفقت  
بذاك يبسم فيها الزهر من طرب  
فيها خلقت عذارى ما بها عوض  
وما هو جد يري بالذكر ان الاندلس معدومة الصحارى

وترى شغف الاندلسي بطبيعة بلاده . قول ابن اللبانة يصف مدينة ميورقة بمائها الجارى من غير توقف . وقد اصبحت هذه المياه بنظره خمرًا .

وكساه حلة ريشه الطاووس  
وكأن ساحات الديار كوهوس (٢)

نعم لقد فتح هذا الجمال الطبيعي الخلاب مجالا واسعا لشعرائنا فوصفوا وابدعوا في الوصف . ولعل الفضل يرجع في الدرجة الاولى الى جمال هذه المناظر البديعة التي الهبت الشعور وحركت القرائح والتي هي جديرة بان تخلق الشاعرية خلقا في نفوس هؤلاء الشعراء . فلقد كانت مهمة الشاعر الاندلسي الرئيسية مهمة المصور البارع فهو يهيم في الطبيعة ويحسها احساسا عميقا يعبر عنه بريشة سحرية . يستعير الوانها من لجين الماء . وذهب الاصيل وظلال الاشجار وبياض الحباب وزرقة السماء وحمرة الاثمار . فيجمع شاعرنا هذه الالوان ويمزجها مزجا فنيا في قصيدة وصفية رائعة كما فعل ابن صارة الاندلسي اذ يصف نهرا رقراقا ينساب بتوادة . ويتلوى في منعطفات ومنعرجات مختلفة . حيث يقل ماؤه فتروق غلالة خصره

والنهر قد رقت غلالة خصره  
تترقق الامواج فيه كأنها  
وعليه من صبغ الاصيل طراز  
عكن الخصور تهزها الاعجاز (٣)

ويقف شاعر آخر امام هذا النهر فتختلف نظرتة اليه ويختلف تشبيهه . فغلالة هذا النهر من فضة . وهذا النهر متقلب لا يستقر على طريقة واحدة او اسلوب واحد في الجرى . فتارة يجرى سيلا فيتغير الثوب من فضة الى نضار . وتارة يستقيم في جرده فيصبح صفحة منصل واخرى يستدير متخذًا شكل عطف السوار

(١) النسخ المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ٨٧

(٢) الطبيعة في الشعر العربي - نوفل ٢٦٠

(٣) النسخ المجلد الاول الجزء الرابع ٢٠٤

والنهر مكسو غلالة فضة فاذا جرى سيلا فثوب نضار  
واذا استقام رايت صفحة منصل واذا الاستدار رايت عطف سوار (١)

وشبهه آخر بالمجرة

والنهر مثل المجرة صفا به من الندامى كواكب زهر (٢)

ومما يلفت النظر ان الشعراء اكثروا من تشبيهات المياه بالمعدات الحربية . فالنساء وما تتركه  
فوق المياه من غضون وتجاهيد شبهوها بالدروع ، كما اكثروا من تشبيه الانهار بالمهند الصقول في حال  
عدم مرور النسيم فوقه . ولعل الحروب الكثيرة والثورات المتواصلة في بلادهم اثرت في نفوسهم وعقليتهم  
وجعلتهم ينظرون الى المعدات الحربية كشيء جميل يجب على الانسان ان يفتخر به ويتشبه به لان بواسطتها  
كانوا يحمون بلادهم ويحافظون على مجدهم وعزهم من كيد العدو . ومن هذه التشبيهات :

لله بهجة منزه ضربت به فوق الغدير رواقها الانسام  
فمع الاصيل النهر درع ساخن ومع الضحى يلتاح منه حسام (٣)

وهنا يمر النسيم فوق هذا النهر فيصبح النهر كالدرع الواسع بينما يصنع الحباب له زردا  
مورنا بشاطي النهر بين حدائق بها حدق الازهار يستوقف الحدق  
وقد نسجت كف النسيم مفاضة عليه وما غير الحباب لها حلق (٤)

ولا بن العطر في هذا المعنى يصف غديرا :

هبث الريح بالعشي فحاكت زردا للغدير ناهيك جنة  
وانجلي البدر بعد هده فصافت كفة للقتال منه اسنة (٥)  
وفي الابيات الآتية يشبه ابن العطار النهر وقد وقع عليه الظل بالقراب ، والقسم المكشوف بالسيف :  
ركبنا على اسم الله نهرا كأنه حباب على عطفه وشي حباب  
والاحسام جال فيه فرند له من مد يد الظل اى قراب (٦)

ولا بن مالك في المعنى ذاته ايضا :

ورب يوم وردنا فيه كل منى وقل في مثل ذاك اليوم ان نردا  
في روضتين بشاطي سلسل شهب كما اجتليت من المحبوب مفتقدا  
يبعد والقطر في اثنائه حلقا فتنظم الريح من فوقه زردا (٧)

(١) النسخ المجلد الاول الجزء الرابع ٢٠٤ - ٢٠٥

(٢) الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٠٨

(٣) المجلد الاول الجزء الخامس الطبعة الجديدة ٢١٦ - ٢١٧

(٤) " الكافي " ٢١٥

(٥) قلائد العقبان ٢٨٤

(٦) " " ٢٨٣

(٧) النسخ المجلد الاول الجزء الثاني الطبعة الجديدة ٢١٢

وستعري جرى المياه في ناحية اخرى انتباه شاعر آخر فيشبهها بانسياب الارقام فيقول ان  
يصف جلسة جميلة :

في حيث تنساب المياه اراقما وتعيك الافيا برد ظلالها (١)

وقال اخر :

انظر الى الماء كيف انحط في صبيه كأنه ارقم قد جد في هربه (٢)

ان هذه البلاد الجميلة التي اضاوها طبق النى وهو اوها يشتاها الولهان اثرت في  
طبع اهله ودمت اخلاقهم واصبحوا يعشقون الجمال ويميلون الى اللهو والمرح ويقول شاعرهم في هذا  
القطر الجميل :

اضاوها طبق النى وهو اوها يشتاها الولهان في الاسحار

والطبع معتدل ققل ما شئته في الظل والازهار والانهار (٣)

ولذلك فكثيرا ما كان اهل الاندلس يخرجون الى هذه الانهار والغدران والبحيرات وما

احتواها من بساتين ورياض يقضون بها عيشهم واهلهم ومضون صبيحاتهم وامسياتهم على ضفافها  
يمرحون ويلهون وكثيرا ما كانت تستهوى هذه المناظر الخلابة طلاب المتعة واللذة ان يقضوا اياما يتعاطون  
الشراب ويتقارضون الشعر وبصحبتهم القيان والمغنون فيستمعون الى انغام مغنيتهم تارة والى شدو  
الطيور وخرير المياه اخرى .

وقال ابن سراج في ذلك وقد خرج مرة مع خلان له الى ضفاف احد الانهر فقضوا يومين

على ضفافه في احسن عيش يتعاطون الشراب ويتقارضون الشعر :

رضى الله فتيانا انست بقربهم على جدول للماء فيه خوبر

اقننا به يومين في خفض عيشة ولا عيش الا قهوة وقد ير

تدور القوالي بيننا نستحشها وكأس الحميا بالسرور تدور

وفي الشجرات الخضر منه رقيقة لنغمتها بين الضلوع هد ير

اذا ما تغنت فوقنا قلت قينة تلاها بصوت مثلتان وزير

سبتي بصوت لو يباع اشترته بما مر من عمرى وذاك يسير (٤)

وقال في احدى هو "لا" القيان وهي تغني على جربة ما" وهم يشربون ويلهون :

(١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٠٥

(٢) \* المجلد الاول الجزء الاول ٦٠

(٣) \* الجزء الثاني ٢٠٦

(٤) الذخيرة القسم الاول المجلد الثاني ٢٧٠



ومسحة تغثينا ارتجالا

وتعجبنا بنغمتها دلالا

وبين اكفنا جمر وما

اذا ما سال خلت الدر سالا (١)

وقال ابن السراج ايضا : "كنت يوما على جربة ما" في موضع حسن يحار فيه الطرف ويقصر عنه الوصف واقمنا هنالك اياما في اطيب عيش واطرف منظر" (٢)

شربنا على ما كان خيرره

خيررد موي عند رؤية ازهر

حلفت بعينيها لقد سفكت دمي

باطراف فنان والحاظ جوذر (٣)

وازهر هذه هي حبيته .

ووصف احد هم منظرا جميلا ، يتخلله نهر ، وقد طوقته الازهار التي بللتها الاندا ، وكست

الشمس الارض الخضراء بغلائل ذهبية وقد جلس واخوات له للهو والشرب والشراب :

قم فاسقتي والرياض لابس

وشيا من النور حاكه القطر

والشمس قد عصفت غلائلها

والارض تندى ثيابها الخضر

والنهر مثل المجر حف به

من الندامى كواكب زهر (٤)

وفي جلسة لهو ومتاع قال شاعر آخر :

عطف القضيب مع التسيم تميل

والنهر موشى الخمائل والحلى

تركته اعطاف الخصون مظلا

ولنا عن النهج القديم مظلا

امسى يغازلنا بمقلة اشهل

والطرف اسحر من ثراه اشهلا (٥)

وركب احد هم نهرا فوصف عبوره النهر مشبها سطح النهر بالسما وحاباه بالنجوم وظلال

ادواحه الكثيفة الملتفة على جوانبه بالبر وخيوط الشمس الذهبية المتمتلة خلال هذا الرداء بالوشى

والرقوم :

عبرنا سما النهر والجو مشرق

وليس لنا الا الحباب نجوم

وقد البسته الايك برد ظلالها

وللمس في تلك البرود رقم (٦)

وركب ابن صارة مع اصحاب له في نهر اشبيلية في عشية سال اصيلا على لجين الما عقبان

وطارت زواريقها في سما النهر عقبانا وابدى نسيما من الامواج والدارات سررا واعكاتا في زورق يجول

جولان الطرف ويسود اسوداد الطرف" (٧)

(١) الذخيرة القسم الاول المجلد الثاني ٣٧١

(٢) " ٣٦٣

(٣) " ٣٦٣

(٤) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٠٨

(٥) " ٢٨٩

(٦) " المجلد الاول الجزء الخامس ٢٩٥

(٧) " الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٠٣

- تأمل حالنا والجو طلق  
وقد جالت بنا عذرا حبلى  
بنهر كالسجنجل كوثرى
- محياء وقد طفل المساء  
تجاذب حرطها ربح رخا  
تعمس وجهها فيه الشما (١)
- واتفق ان وقف ابن خفاجة على القطعة واستفطر منها فقال يعارضها على وزنها ورويتها وطريقتها (٢)
- الا حبذا ضحك الحميا  
وادهم من جياذ الماء مهر  
اذا بدت الكواكب فيه غرقى
- بحانتها وقد عمس المساء  
تتازع جله رم رخا  
رايت الارض تحسد ها السما (٣)
- وهنا شاعر آخر يصف اصيل يوم قضاء بالخيف والنهر ينساب انسياب المذعور وهبوب الريح تولد على  
على صفحات الماء موجات تسفر بدورها عن الحباب وقد نبت على ضفتيه قضب لدنه تحاكي قدود الحسان  
وازهر النور واخضر النبت .
- ويوم لنا بالخيف راق اصيله  
نعننا به والنهر ينساب ماؤه  
وللموج تحت الريح منه تكسر  
وقد نجمت قضب لدان بشطه  
واينع مخضر النبات خلالها
- كما راق تبر للعيون مذاب  
كما انساب ذعرا حين ربح حباب  
تولد فوق المتن منه حباب  
حكمتها قدود للحسان رطاب  
كما اقبلت نعى وراق شباب (٤)
- اقبل اهل الاندلس على هذه المنزهات وهاموا بطبيعتها الفتانة وقد يصيح احد هم معبرا عن  
هذا الجمال الفتان ، ومن ايام سعيدة قضاها في ربيع احد الانهار فيقول :
- ايا طيب ايام تقضت بروضة  
اذ غردت فيها حمام دوحها  
تخيلتها الكتاب بين المهارق (٥)
- وما اجمل القمر والشمس حين يرسلان اشعثهما على ماء النهر فهذا يفضض وذاك يذهب  
الا حبذا نهر اذا ما لحظته  
ترى القمرين الدهر قد عنيا به  
يفضضه بدر وتذهب به شمس (٦)

- 
- (١) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٠٣  
(٢) " " " " " " ٢٠٣  
(٣) " " " " " " ٢٠١  
(٤) قلائد العقيان " " ١٧٢  
(٥) الطبيعة في الشعر الاندلسي - نوفل ٢٦٢  
(٦) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٤٣٩

ويضفي البدر بهاءه السني فيقول ابن صارة :

انظر الى البدر واشراقه  
على غد يرموجه يزهر  
كشحن من مجر اخضر  
خط عليه ذهب احمر (١)

وترسل الشمس زعفرانها اصيل يوم فتصيغ النهر :

انظر الى النهر في ردا هروس  
ثم لما هب النسيم عليه  
صبغته بزعفران العشي  
هز عطفيه في دلاه الكئي (٢)

ولا يتعدى ابن خفاجة في وصفه نهرا سائلا في السهول والبطاح ما يقوله زملاؤه ولكنه يرى هذا

النهر الذي رق كأنه قرص الفضة وقد انزع في الثوب الاخضره انه اشمس الى قلبه من شفاء الحسان .

لله نهر سال في بطحا

اشمس ووردا من لس الحسناء

متعطف مثل السوار كأنه

والزهري يكفه مجر سما

قد رق حتى ظن قرصا مفرقا

من نضة في بردة خضراء

وقدت تحف به الغصون كأنها

هدب يحف بمقلة زرقا

ولطالما عاطيت فيه مدامة

صفراء تخضب ايدى الندما

والريح تعبت بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء (٣)

ومن جميل ما قيل في الانهار قول ابن سفر في نهر اشيلية وهو نهر عظيم يصعد المد فيه اثني

وسبعين ميلا :

شق النسيم عليه جيب قميصه

فانساب من شطيه يطلب ثاره

فتضاحكت ورق الحمام بدوحها

هزا فطم من الحيا ازاره (٤)

وهذا التشبيه جديد ومبتكر

ولعل اجمل ما قيل في الانهار قول ابن حمد بن المغربي يصف نهرا بالصفاء وهو يسيل في

روضة وقد انعشه الهواء العليل فاظهر ما يكنه ضميره . ويمر على الحصبا فتجرحه وتولمه فيشكو اليها

اوجاعه والامه بخبره :

(١) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٣٩

(٢) " " " " " " " " ٢٤٠

(٣) ديوان ابن خفاجة ١٦ - ١٧

(٤) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ١٥٠

ومطرّد الامواج يصقل منته صبا اطلنت للعين ما في ضميره

جريح باطراف الحصى كلما جرى عليها شكا اوجاعه بخبره

كان حبابا ريع تحت حبابه فاقبل يلقي نفسه في غديره (١)

وتتجلى روح الابداع والابتكار عند ابن حمديس عندما يصف نهرا ينبعث من عين ماء فيقول :

ومرو صدى الروضات يسحب ذائبا على الارض منه جملة تتبعض (٢)

ويتامل ابن حمديس ومعنى النظر في صور الطبيعة فيرى النهر جاريا مهترا وكأنه قروا ينفضه النسر . ثم ينساب كأنه حية تطول وتعرض . واذا ما مرت عليه الريح اصبح عمودا منقوشا بل يعود فيجعل من هذا الغدير روحا يحيي الجسم وينهضه . وتتطبع نفسه الحزينة في هذا النهر وتتحول مياهه الى دموع عين لا ينقطع معينها ابدأ .

اذا ما جرى واهتز للعين مزيدا حسبته به فروا من النسر ينفض

وتنساب منه حية غير انها تطول على قدر الحساب وتعرض

وتحسبه ان حبكت منته الصبا عمودا علاه النقش وهو مفضض

له رعدة تعتاره في انحداره كما تبسط الكف العنان وتقبض

كان له في الجسم روحا اذا جرى به نهضة والجسم بالروح ينهض

وما هو الا دمع عين كأنها لطول بكا دهرها لا تغض (٣)

ويقول في النهر ايضا :

ولا بس ثقب الاعراض جوهره له انسياب حباب رقيه الحبيب

اذا الصبا زلقت فيه سنا بكمها حسبته منصلا في منته شطب

وردته ونجوم الجو مائلة كما تدحرج درما له ثقب

ومضرب طعنته غير نائية اسنة هي ان حقتها شهب (٤)

ومشرق كنيا الشمس في يده ففضة الماء لن القائها ذهب (٤)

ومع ان ابن حمديس لم يجدد في تصاويره وتشابيهه ولم يختلف عن زملائه الشعراء بتصوير الطبيعة ، الا انه يشفع له صدق العاطفة وشدة شغفه بالطبيعة ، فانه يضيء عليها الحياة ، ويجعل لها روحا تتعشها ، فما الانهار الا ارواح تحيي الرياض والرياحين ، وما ريج الصبا الا لسان صب ترسلته الروضة مطيبا ليشكر الانهار وقال في ذلك يصف غديرا شقه نهر :

(١) النفع المجلد الاول الجزء الرابع الطبعة الجديدة ٢٠٤ - ٢٠٥

(٢) ديوان ابن حمديس

(٣) " " "

(٤) " " " ٢٤

وزرقاً في لون السماء تنبهت  
يشق حشاها جدول مثقل  
كما طعن المقدام في الخرب دارعا  
يريك رؤوساً منه في جسم حية  
فلا روضة الا استعارت لشكره  
لتحيكها ربح تهب مع الفجر  
يسقي رياض اليست حلل الزهر  
بعضب فشق الخصر منه الى الخصر  
سعت من حياة في حدائقه الخضر  
لسان صبا تسرى مطيبة النشر (١)

## ٢ - البحيرات والبحار

احدقت البحار بجزيرة الاندلس ، ولهذا نرى الشعراء يتجهون الى البحر ويصفون الاساطيل  
والسفن الجارية فيه ، وقد تفنن كثيرون منهم في اوصافها وبخاصة ابو عمر القسطلي وابن خفاجة وابن الابار  
وابن وهبيون .

ومما نلاحظه ان الاندلسيين كانوا يرهبون جانب البحر ويتجنبون ركوبه ، وربما يرجع هذا  
لعدم توفر الاسباب لتأمين السفر ، بل يرون في ركوبه اكبر المصائب وافظع الاهوال ، ولا يقحمونه الا  
اذا اضطروا الى ذلك اضطرارا ، ويصف لنا المقرئ صاحب النسخ ركوبه البحر وسفره الى المشرق وما  
لاقاه من احوال ومخاطر . فيقول " ركبنا البحر وحللنا السحر والنحر وشاهدنا من احواله وتناهي احواله  
ما لا يعبر عنه ولا يبلغ له كنه

البحر صعب المرام جدا  
ليس ما ونحن طين  
لا جعلت حاجتي اليه  
فما عسى صيرنا عليه ؟ (٢)

ويعود فيصف امواجه والريح القوية التي هبت عليهم " فكم استقبلتنا امواجه بوجوه بواسر  
وطارت الينا من شراعه عقبان كواسر قد ازعجتها اكف الريح من وكرها كما نهبت اللجج من سكرها فلم  
تبق شيئا من قوتها ومكرها ، فسمعنا للجبال صفيرا ، وللرياح دوا عظيما وزفيرا وثبقنا ان لا نجد من  
ذلك الا فضل الله مجيرا وخفيرا " واذنا مسك الفر في البحر ضل من تدعون الا اياه وايسنا من الحياة  
لصوت تلك العوصف والعياء فلا همم الله ذلك الهوى المزجج ولا بياء والموج يصفق لسماح اصوات الرياح  
فيضطرب بل ويضطرب فكأنه من كأس الجنون يشرب او شرب ، فيستعد ويقرب بوفرقة تلتطم وتصطفيق ، وتختلف  
ولا تكاد تتفق ، فتخال الجو ياخذ بنواصيها وتجذبها ايديه من قواصيها حتى كاد سطح الارض يكشف من

(١) ديوان ابن حمديس ١٥١

(٢) النسخ المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ١٥

خلالها وغان السحب يخطف في استقلالها والشرع في قراع مع جيوش الامواج التي امدت منها الافواج  
بالافواج ونحن مقود كدود على عود بين فرادى وازواج . وقد نبت بنا من المغلق امكتنا وخرست من الفرق  
السننتنا ، وتوهمنا انه ليس في الوجود اغوار ولا نجوم الا السما والما وذلك السفين ، وفي في قبر  
جوفه دفين \* (١)

وفي ركوب البحر يقول ابو عمر القسطلي وهو متوجه الى سرقسطه ولا يختلف رايه في ركوب البحر عن  
المقرى فيقول مخاطبا الخليفة خيران العامري صاحب المره

اليك شحنا الفلك تهوى كأنها	وقد زعرت من مغرب الشمس فريان
على لجاج خضر اذا هبت الصبا	ترامى بنا فيها تبيرو تهتلان
موائل ترعى في ذراها بموائلا	كما عبدت في الجاهلية اوتان
وفي طي اسعال الغريب غرائب	سكن شفاف القلب شيب وولدان
يرددن في الاحشاء حر مصائب	تزيد ظلما ليلها وهي نيران
اذا غيض ما البحر منها مددته	بدمع عيون تمترمن اشجان
وان سكنت عنها الرياح جرى بها	زفير الى ذكر الاحبة حنان
ثقلن وموج البحر والهيم والدجى	تموج بنا فيها عيون وآذان
الا هل الى الدنيا معاد وهل لنا	سوى البحر قبراو سوى الما اكان (٢)

وفي البحر يقول القسطلي ايضا :

مورت بسوس والنجم كأنها	توقد من فكري وتسرح من ذهني
واسريت من بدر الظلام بالية	بصحبة مطفي الجمر او مكفى الظعن
لبسنا بنا ليلا من الثلج ابيضا	كسته يد الضنبر ثوبا من القطن
ورحنا على البيرة فاستقل بي	جناح عقاب لا يروح الى وكن
ولما تتكبتنا المنكب لم نجد	لنا مركبا اهدى سبيلا من السفن
ترامت بنا الاهوال في كل لجة	تخيلها جوا تجلل بالدجن
ترى السفن فوق الموج فيها كأنها	تحدر من رعن وتوفي على رعن (٣)

ولقد كان للمغرب اسطول في الاندلس ففتن الشعراء في وصفه ومن ابرع اوصافهم للسفن قول ابن

يزيد بن عبد الله بن خالد :

(١) النسخ المجلد الاول الجزء الاول الطبعة الجديدة ٩٧

(٢) الذخيرة القسم الاول الجزء الاول ٧٤ - ٧٥

(٣) \* \* \* \* \* ٣٩٥

طوائري بين الجو والماء عوما  
 رايت به روضا ونورا مكما  
 فمدت له كما خصيبا ومحصما  
 على وصل في الماء كي تروى الظما  
 بقبض وسط يسبق العين والفما  
 فهل صنعت من عدم او بكت دما (١)

ويا للجوارى المنشآت وحسنها  
 اذا نشرت في الجواجنحة لها  
 وان لم تهجه الريح جاء مصانحا  
 مجاذف كالحيات مد قنود وسها  
 كما اسرعت عدا انامل حاسب  
 هي الهدب في اجفان اكل اوطف

وقال عبد الله بن الحداد يصف اسطول المعتمس بن صامح

ان سمت نحوهم لها اجياد  
 دأبها مثل خائفها سهاد  
 كهدب باك لدمعه اسعاد  
 كل من ارسلت عليه رما  
 الف خطها على البحر صا (٢)

هام صرف الردى بهام الاعادى  
 وتراءت بشرعها كعيون

ذات هدب من المجاذيف حرم فوقها من البيض نار  
 ومن الخط في يدى كل در

ولابي الحسن بن حريق في هذا المعنى :

من عهد نوح خشية الطوفان  
 من كل خوقة حبة بلسان (٣)

وكانما سكن الاراقم جوفها  
 فاذا راين الماء يطفح نفضت

وقال آخر يصف الشراع :

طوع الرياح وراحة المتطرب  
 في كل لج زاخر مقلوب  
 هريان منسرح الذوابة شذب  
 لورام يركبها القطا لم يركب  
 للسمع الا انه لم يشهب

ولها جناح يستعار بطيرها  
 يعلوبها حدب العباب مطاره  
 يسمو بأخر ذى الهواء منصب  
 يتنزل الملاح منه ذرابة  
 وكانما رام استراقة معقد

وقال ابو عمر القسطلي ايضا :

يطير بهم الى الصوب ابن ماء  
 يرفرف فوق جنح من سما (٤)

وحال الموج بين بني سبيل  
 اغرله جناح من صباح

(١) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٣٧٢

(٢)

(٣)

(٤) النسخ المجلد الثاني الطبعة الازهرية ٣٧٣

وقال ابن خفاجة :

وجارية ركبت بها ظلما  
اذا الماء اطمأن ورائي خصرا  
يظير من الصباح بها جناح  
هلا من موجه رد فرداح  
وقد فخر الحمام هناك فاه

وقال عبد الجليل ابن وهيون يصف الاسطول :

يا حسنها يوما شهدت زفافها  
ورقا كانت ايكة فتصورت  
بنت الفضاء الى الخليج الازرق  
لك كيف شئت من الحمام الازرق  
وكانه من غرة لم ينعق  
حسب اقتدار الزانج المتانق  
اسماؤها فتصغفت في المنطق  
وطى معاطفها وهادة سودى  
وزحفن زحف مواكب في مأزق  
نزلت لتكفر من غدير مناق (٢)

حيث الغراب يجر شطة عجبه  
من كل لابس الثياب ملاة  
شهدت لها الاعيان ان شواهدنا  
من كل ناشرة قوادم اجنح  
زارت زئير الاسد وهي صوامت  
ومجانف تحكي اراقم ربوة

### ٣ - الاحواز والنواميس

تعلم من الفصول السابقة ان الخلفاء والامراء اولعوا بالناحية العمرانية ففتنوا وقالوا بتجميل المدن واشادة الابنية الفخمة واولعوا بناحية خاصة وهي رؤية المياه تجرى على مختلف الاشكال والانواع فزينوا القصور بحدائق غناء مسوجة بالعرائش والكريم تزخر باشجار الناكهة ومختلف الزهور واجروا من تحتها الجداول والانهار العذبة . واسالوا الخدران الصافية في البيوت والمنازل . كما اقاموا القنوات العديدة لجلب المياه العذبة من الجبال المجاورة وتوزيعها في كل ساحة من ساحات المدينة . وتوسطت الشوارع التواوير الجميلة التي كان ينثق الماء منها فتبعث في النفس الغبطة والسرور كما فعل الناصرحين جلب المياه العذبة من جبل قرطبة الى قصر الناعورة في مناهر مهندسة وطى الحنايا المعقودة يجرى ماؤها بتدبير عجيب (٣) ينساب ماؤها الى بحيرة عظيمة اقيم عليها اسد عظيم الصورة

(١) النسخ المجلد الثاني الطبعة الازهرية ٣٧٤

(٢) " " " " " " ٣٧٤

(٣) " " الاول الجزء الخامس الطبعة الجديدة ٥٣



ويظهر ان اهل الاندلس كانوا يستعملون الدواليب والنواعير لرى البساتين وقد استرعت انتباههم خصوصا المياه المندفعة منها التي كانت تذكرهم بالدموع المتساقطة من العين - وقال ابو جعفر بن وضاح في دولا ب :

وياكية والروض يضحك كلما	الحت عليه بالدموع السواجم
يروقك منها ان تاملت نحوها	زئير اسود والثفاف اراقم
تخلص من ما* الغدير سبائكها	فتبتتها في الروض مثل الدراهم (١)

وقال ابو الحسن بن سعد الخير :

لله دولا ب يفيض بسلسل	في روضة قد اينعت افنانا
قد طارحته بها الحمام شجوها	فيجيبها ويرجع الالحانا
فكأنه دنف يدور بمعهده	يبكي ويسأل فيه عن بانا
ضاقته مجارى طرفة عن دمه	فتفتحت اضلاعه اجفانا (٢)

ووصف احد هم ناعورة فقال :

وذات حنين ما تغيف جفونها	من اللجج الخضير الصوتي على شط
فتبكي فتحيي من دموع جفونها	رياضا تبتد بالازاهر في بسط
فمن احمر قان وصفر فاقع	وازهر مبيض وادكن مشط
كان ظروف الماء* من فوق متنها	لاآي جمان قد نظمن على قرط (٣)

وهكذا نجد ان الشعراء في جميع هذه الاوصاف لم يجاوزوا الشكل فانهم لم ينفذوا الى اسرار البحار والانهار يرسمونها ويصفون عليها الوان الفن كما فعلوا في غيرها من الوان الطبيعة . كما ان تشبيهاتهم للمياه كانت محصورة جدا فلم تتعد تشبيه المياه بالدرع والسيوف والحلق والنزد والاراقم والمجرة والبلور (المجلى) كما حصروا تشبيه صوت المياه وخبرها بزئير الاسود وضا\* الطيور .

(١) النفع الجز\* الثاني الطبعة الازهرية ٣٤١

(٢) " " " " " " ٣٤١

(٣) " " " " " " ٢١٠

وكانت الاحواغر والصهاريج تصنع من المرمر المنقوش او من النحاس كما كانت في القصور تصنع من الذهب الابريز او الفضة . ويحكى انه اجتمع ثلاثة من الشعراء وهم ابو جعفر بن سعيد ، والكندي وابن نزار في جنة بهية وفيها صهريج ماء قد احرق به شجر نارنج وليمون وغير ذلك من الاشجار وطيه انبوب ماء تتحرك به صورة جارية راقصة بسيف وطيغور رخام يصنع في انبويه الماء صورة خبا . فقالوا نقسم هذه الاوصاف الثلاثة فقال ابو جعفر يصف الراقصة : (١)

وراقصة ليست تحرك دون ان  
يدور بها كرها فتتضي صورها  
اذا هي دارت سرعة خلت انها  
وقال ابن نزار في خبا الماء :

رايت خبا الماء ترسل ماءها  
تطاره طورا وتعصيه تارة  
وقد قابلت خيرا الانام فلم تنزل  
اذا ارسلت جود امام يعينه

فنازها هب الرياح رداها  
كراقصة حلت وضعت قباها  
لديه من الحليا تدي حياها  
ابن العدل الا ان يرد اباها (٢)

وقال الكندي في الصهريج :

وصهريج تخال به لجينا  
كان الروض يعشقه فمعه  
وتنحده اكف الشمس عشقا  
انما زرع النسيم القضب منها  
وللنارنج تحت الماء لما  
ولليمون فيه دون سبك  
فيا روضا به صقلت جفوني  
تتأثر فيك اسلاك الغوادي  
ولا برحت تجمع فيك شملا  
يعجم بهم نسيم الروض الفا

يذاب وقد يذهبه الاصيل  
على ارجائه ظل ظليل  
دنانيرا فمعه لها قبول  
فحينئذ يكون لها سبيل  
تدي عكسا جمر بليل  
جلال زخرفت نصبا تجول  
وارهف منه الزهر الكليل  
وقيل صنع جدواك القبول  
من الاكياس والكاس الشمول  
فمن وجد له جسم عليل (٤)

- (١) النفع الجزء الثاني الطبيعة الازهرية ٢٩٠  
(٢) " " " " " ٢٩٠  
(٣) " " " " " ٢٩٠  
(٤) " " " " " ٢٩١

مستنبط من لولو\* وجمان  
في الجو منه قميص كل خان  
اسد تذل لعزة السلطان  
فلذلك انتزعت من الابدان  
نارا مضرمة من العدوان  
يطرحن انفسهن في الغدران  
اخذت من المنصور عقد امان (١)

ما في حشاها من خفي مضم  
والعين تنظر منه احسن منظر  
لما انتهت باللولو\* المتحدر (٢)

صبا اعلنت للعين ما في خميره (٣)

من الازهار اهداب لها وطف  
في مائها ولها من عومر لحف  
برد الشتاء\* فتستدلي وتنصرف  
جيش الفصاري على اكافها الحجف (٤)

اسد ولواني انا \_\_\_\_\_ قسه الحساب لقلت صخره

فكانه اسد السما \_\_\_\_\_ \* يمج من فيه المجره (٥)

ولبعضهم في شكل يرمي الماء\* مجونا مثل الخيا\* وتمزقه الريح احيانا :

الا افكار طب حاذق

ايدي الصباية بالفواد العاشق (٦)

وكانها ترمي السما\* ببندق  
لوعاد ذاك الماء\* نقطا احرق  
في بركة قامت على حافات  
نزعت الى ظلم النفوس نفوسها  
وكان برد الماء\* منهلا مطفي\*  
وكانها الحيات من افواهها  
وكانها الحيتان اذ لم تخشها

وقال احد الاندلسيين يصف بركة طيها فوروات :

غضبت مجارها فاطهر فيظها

وكان نوع الماء\* من جنباتها

قضب من البلور اثير فرورها

وفي هذا المعنى قال ابن حمد يس يصف نهرا كما سبق :

ومطرود الامواج يصقل منته

ويصف ابن سارة بركة فيها سلاحف :

لله مسجورة في شكل ناظرة

فيها سلاحف الهاني تغاصها

تنافر الشط الآجين يحضرها

كانها حين يهد يهدا تصرفها

وقال الاعصى التطيلي في اسد نحاس يقذف الماء\* :

ومطّب للماء ما اوثاره

لعبت به ايدي الصبا فكانها

(١) النسخ المجلد الاول الجزء الرابع الطبعة الجديدة ١٩٦

(٢) " " " " " " ٢٠٤

(٣) " " " " " " ٢٠٥

(٤) ثلاثه العقيان ٢٧١

(٥) النسخ الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٢٩٢

(٦) " " " " " " ٣٤٠

ثم ينتقل الشاعر الى وصف تلك الشجرات الذهبية والفضية المقلدة بالاثمار الحجيبة وقد رقد  
الطير على اقصانها . كما مجت هذه الطيور بدورها الماء من مناقيرها فانسابت كاللجين المتغير الزمير  
او خيوط فضة . كما كان صغير المياه المتدفق كالتغريد . اما قطرات الماء المتساقطة من افواهها فكانها  
لؤلؤ منشور فوق زبرجد :

ويدبعة الثمرات تعبر نحوها	عيناى بحر عجائب مسجورا
سجربة ذهبية نزعته الى	سحريوثر في النهى تأثيرا
قد صوبحت اقصانها فكانها	قبض يمين من الفضاء طيورا
وكانما لوقع طيورها تايى لوبع طيرها	ان تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها	ماء كسلسال اللجين نميرا
حرس تعد من الفصاح فان سدت	جعلت تغرد بالمياه صغيرا
وكانما في كل فصن فضة	لانت فارسل ضبطها مجرورا
وتريك في الصهرج موقع قطرها	فوق الزبرجد لؤلؤ منشورا (١)

وصف ابن حمد بن بركة اخرى تجرى اليها المياه من شان واران من افواه طيور وزرافات واسود وكل  
ذلك في احد القصور العظيمة . وان اختلفت كلمات هذه القصيدة عن سابقتها غير انها لا تختلف عنها  
البتة في الصور والتشبيه :

والماء منه سبائك من فضة	ذاب على درجات شان واران
وكانما سيف هناك مشطب	القتة يوم الروع كف جبان
كم شاخص فيه يطيل تعجبا	من دوحة نبتت من العقيان
عجبا لها تسقي الرياض ينابعا	نبعت من الثمرات والاقصان
خصت بطائرة على فتن لها	حسنت فانرد حسنها من ثان
من الطيور الخاشعات بلاقة	وفصاحة عن منطق وبيان
فاذا اتيج لها الكلام تكلمت	بخوير ماء نائم الهملان (٢)
اوفت على حوض لها فكانها	مشا على العجب العجائب رواني
فكانها ظنت حلوة مائها	شهدا فذاقته بكل لسان
وزرافة في الجوف من انبيها	ماء يريك الجرى في الطيران
مركوزة كالرجم حيث ترى لها	من طعنة الخلق انعطاف سنان

بديع الصنع شديد الروعة يجوز الماء الى مؤخره فيدفعه الى البحيرة ويجانبه تمثال لانسان هائل يصب الماء على الاسد ومن ثم يتحول الماء الزائد الى النهر بعد ان تتال الماء \* المدينة كمايتها .  
واليك ما فعل العامون بن ذى النون عندما شاد قصره العظيم في طليطلة فقد اتقنه الى الغاية وانفق عليه امرا لا طائلة ، وصنع في وسطه بحيرة وصنع في وسط البحيرة قبة من زجاج ملون منقوش بالذهب وجلب الماء على راس القبة بتدبير احكمه المهندسون ، فكان الماء ينزل من اعلى القبة على جوانبها محيطا بها ويتصل بعضها ببعض فكانت قبة الزجاج في غلالة من ماء سكب خلفه الزجاج لا يفتر عن الجرى ، والعامون قاعد فيها لا يمسه من الماء شي ولا يصله وتوقد فيها الشموع فيرى لذلك منظر بديع عجيب (١)  
وقال ابو محمد العصري يصف البركة والقبة عليها :

شمسية الانساب بدرية      يحار في تشبيهها الخاطر  
كانما العامون بدر الدجى      وهي عليه الفلك الدائر (٢)

ولعل اجمل ما قيل في وصف البرك قول ابن حمديس الصقلي يصف بركة عليها اشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها المياه ، وقد ريمت اسود على جوانبها تقذف المياه الصافية من افواهها ، وكانما خير المياه المتدفقة زئير تلك الاسود الجبارة انتي تتاهب للهجوم والشمس ترسل اشعتها النارية عليها فتخال الماء المنساب من افواه هذه الاسود نارا والسننها نورا او سيوف سلت ولكمها عادت فذاهبت بلا نار وتحولت الى مياه جارية :

وضراغم سكمت عوين رياشه      تركت خير الماء فيه زئيرا  
فكانما غشى النضار جسمها      واداب في افواهها البلورا  
اسد كان سكونها متحرك      في النفس لو وجدت هاك مشيرا  
وتذكرت فتكاتها فكانما      اقمعت على اذبارها لتثورا  
وتخالها والشمس تجلو لونها      نارا والسننها اللواحس نورا  
فكانما سلت سيوف جداول      ذاهبت بلا نار فعدن غديرا (٣)

ولم يختلف الشعراء في تشبيه النسيم وما يتركه على صفحة الماء من غضون وتجدد سوا كان في النهر او البرك فالصورة في نظرم واحدة :  
وكانما نسج النسيم لمائه      درط فقدر سردها تقديرا (٤)

---

(١)	النفح	المجلد	الاول	الكجز	الرابع	٢٨٤
(٢)	"	"	"	"	"	٢٨٦
(٣)	"	"	"	"	"	١٨٦
(٤)	"	"	"	"	"	١٨٧

## الجبال والوديان

### ١ - الجبال

يلاحظ بشي\* من الدهشة ان "الجبال" رغم كثرتها في الاندلس لم تكن لتؤثر في الشعراء\* او توحى اليهم بالشئ\* الكثير لذلك لا نرى لها اثرا كبيرا في قصائدهم . واذنا ما ذكرت قبشي\* من الحذر والخوف والرهبة لا تحببا اليها او تنزلا فيها . وتبدو هذه الظاهرة عند اكثر من شاعر . ولعل المناظر الخلابة للبساتين المنتشرة هنا وهناك والانهر المنسابة كالانهار في الوديان النضرة والمروج الخضراء\* ، كل ذلك شغل الشعراء\* عن التغزل بالجبال . وقد يحق لشاعر كابن خفاجة ان يرهب منظر الجبل وقد انتصب كالجبار في وجه المسافر يناطح بقمه اعالي النضا\* ويقف بوجه الاغصير من كل جانب ويزحم ظلام الليل بمنكبيه مرتفعا في وسط سهل مقعر كانه مفكر وقف في ظلام الليالي الطوال يتساءل عن معاني الاشياء\* تاركا للغيم والبروق ان تحيك حوله عمام سودا\* بذوائب حمرا\* :

وارعن طماع الذوائب باذخ      يطاول اعنان السماء بنارب

يسد مهب الريح عن كل وجهة      ويزحم ليلا شهبه بالمناكب

وقور على ظهر الفلاة كانه      طوال الليالي مفكر في العواقب

يلوت عليه الغيم سود عمام      لها من وميض البرق حمر ذوائب (١)

ويتخيل الشاعر ان الجبل يحدثه عن اشياء\* عجيبة رغم صمته وسكونه فيصفي اليه في هدأة الليل وهو يقول : الا كم كنت ملجأ المجرم ووطن الهارب المتبطل من العالم نحوره . وكم من مرة مر المسافرون امامي لا يعلمون الى ليل ام الى نهار هم سائرون ا ا ا كل هؤلاء\* شاهدتهم وحاولت ان اردهم مع العواصف . ولكن كل هذه الكائنات طوتها يد الموت وصبت بها رياح الفرقة والشقاء\*

وكم مر بي من مدلج وموؤب      وقال بظلي من مطي وراكب

ولاطم من نكب الرياح معاطفي      وزاحم من خضر البحار غواربي

فما كان الا ان طوتهم يد الردى      وطارت بهم ريح النوى والنوائب (٢)

ويتحقق الشاعر في انطاق الجبل فيحمله على التفلسف في الحياة والكائنات اذ يقول : واذنا ما سمعت خفقان الروض على سفحي الهادي\* فاصغ الى تنهدات قلبي المتعب . واذنا ما رايت المآتي مني قد جفت فلا تقل انني سلوت . ولكنني نزلت دموعي على فراق احبتي .

(١) ديوان ابن خفاجة ٢٧

(٢) ابن خفاجة ٢٧

فما خفق ايكي فيرجفة اضماحي

ولا نوح ورفي فيرصرخة نادب

وما فيض السلوان دمعي وانمسا

نزفت دموعي في فراق الصواحب (١)

ويسترسل الجبل في تساوله ودهشته الى متى سيظل على حاله يودع الكوكب تلو الكوكب والى

متى سيبقى مكانه بينما يظعن الاصحاب . فيتضرع الى الله لنوال رحمته .

فحتى متى ابقي ويظعن صاحب

اودع منه راحلا غير آيب

وحتى متى ارعى الكواكب ساهرا

فمن طالع اخرى الليالي وغارب

فرصماك يا مولاى دعوة ضارع

يمد الى نعماك راحة راقب

وكاني باين خفاجة قد وجد في هذا الجبل الصامد خير واعظ ومسل وصديق في سره ان يقول :

فاسمعني من وعظه كل عبرة ~~يتروكجها~~

يترجمها عنه لسان التجارب

فلى بما ابكى وسرى بما شجا

وكان على عهد السرى خيرا صاحب

وقلت وقد تكبت عنه لسطية

سلام فاننا من مقيم وذاهب (٢)

ويذكر ابن خفاجة جهلا اخر فلا يختلف رايه فيه عما رايناه في المثال السابق فهو يرى فيه موطن

الذعرهراء في شموخه وطموحه مقطبا عابسا رغم ضحك البدر الذي يشرق من فوقه

واشرف طماج الذوابة شامخ

تنطق بالجوزاء ليلا له خصر

وقور على مر الليالي كانما

يصيح الى نجوى وفي اذنه وقر

تمهد لئه كل ركن ركانة

فقطب اطراقا وقد ضحك البدر

ولان به سر السماء كانما

يحن الى وكر به ذلك النسر

ثم يتساءل ابن خفاجة وقد رايه صمته وسكينته عن علة وقره اسببها كبر سنه ام كبرياؤه وشموخه

فلم ادر من صمته وسكينته

اكبره سن وقرت منه ام كبر (٣)

وفي الاندلس جبال عديدة متنوعة بعضها خصب تكثر فيه الاشجار المثمرة كالتفاح والكمثرى والخوخ

واشجار الزيتون او اشجار لا تثمر تستعمل للاخشاب والبعض الآخر قاحل مجدب موحش يرهى الرهبة

في القلوب ، وانه من المدهش المستغرب الا توحى هذه الجبال بشيء لشعراتنا رغم كثرتها وجمال

بعضها كما يتضح لنا من ذكر صفاتها كما وردت في مصادرنا الاولى فهناك جبال قلعة ايوب (٤)

وينحدر منها نهر عظيم في مدينة سرقسطه (٥) وفي غربي اشبيلية جبل الشرف وهو شريف البقعة كريم

(١) ابن خفاجة ٢٧

(٢) الديوان ٢٧

(٣) ديوان ابن خفاجة ٦٤

(٤) صفة جزيرة الاندلس - الحبيدي - نشر لاني بروفنصال ١٦٣٠

(٥) صفة جزيرة الاندلس - الحبيدي - نشر لاني بروفنصال ١٦٣٠





وفي الاندلس جبال ينبت فيها الزيتون المتناهي في الجودة (١) ومنها جبل زهرهون ومنه تنبجس العيون وفيه تكثر اشجار الزيتون وفيه يقول احد الشعراء وقد حاول وصف الطبيعة باشجارها الجميلة وهوائها العليل ومائها الطيب ، وورودها الحمراء الخجلى وازاهيرها الباسمة فوق الغصون ، ولمع البرق في انحاء ضاحكا ، فيبكي عذاب عيونه بعيون \*

بالحسن من مكثاة الزيتون	قد صح عذرا الناظر المقتون
فضل الهواء وصحة الماء الذي	يجرى بها وسلامة المحزون
سحت عليها كل عين ترة	للغزن هامية الغمام هتون
فاحمر خد الورد بين اباطح	واقتر ثغر الزهر فوق غصون
جبل تضحكت البروق بجوه	فبكت عذاب عيونه بعيون
وكانما هو بربرى وافد	في لوحه والتين والزيتون (٢)

وهكذا فان ذكروا الجبال قبشي\* من الخوف والوجل وشي\* من الحذر .

## ٢ - الاودية

ولم تقل الوديان في الاندلس في اشجارها وكثرة اشجارها ووفرة ازهارها وتعدد انهارها جمالا وروعة وعددا عن الجبال ، وهي كالجبال لم تذكر كثيرا في شعر الشعراء\* ولم تكن مصدر وحيهم والهامهم ، فلم تتحرك في وصفها اقلامهم ، ولم تخفق لها قلوبهم اللهم الا نفرا قليلا استطاعوا ان يذكروا لنا بعض هذه الوديان الشهيرة ، وان يصفوا طبيعتها الخلابة الجذابة ، والذي يلفت النظر في هذه الوديان جمال اسمائها . فوادي العسل (٣) وطي نهره المسمى بهذا الاسم بساتين وجنات ، ووادى الحجارة وفيه من قلة الزعفران الشي\* الكثير (٤) ووادى آشر وقد قامت بجانبه مدينة كبيرة خطيرة تجرى حولها المياه والانهار (٥) ووادى البحر (٦) ووادى الطلح وهو منزه جميل ملتف الاشجار تكثرفيه الاطيار المفردة (٧) وهنالك وديان كثيرة اخرى يضيق المقام عن ذكرها تطالع القارى\*

(١) الحميدى - صفة جزيرة الاندلس ١٤٢

(٢) المقرئ - الجزء الرابع طبعة بولاق ٢٩

(٣) صفة جزيرة الاندلس - الحميدى - ٧٣ - ٧٤

(٤) " " " " ١٩٣

(٥) " " " " ١٥٢

(٦) " " " " ١٥١

(٧) المقرئ المجلد الاول الجزء الخامس طبعة جديدة ٤٢٣

في الكثير من المصادر الاولية يمر عليها الشعراء من الكوام فلا تثير شعورهم ولا تحرك عواطفهم .  
ويتضح لي من مطالعة الادب الاندلسي ان لوادى آش منزلة رفيعة عند اهل الاندلس  
ان انه خص بالنصيب الاوفر من الشعر ، فقد خصه اكثرهم بالوصف والمدح ، ووادى الآش هذا ويقال وادى  
الاشات مدينة جلييلة قد احدثت بها البساتين والانهار وقد خص الله اهلها بالادب وحب الشعر (١)  
ويصف ابو الحسن بن نزار جمال ذلك الوادى بازاهيره واشجاره واندائه الملتفة لهجير حره ، والشمس  
الراغبة ان تنال منه لحظة فتمنئها الاغيا ، والنهر المنساب كالأفعى الرقطا ، يبتسم ابتسامة دل واغرا  
لاضغان الشجر المائلة على حوافيه :

وادى الاشات يهيج وجدى كلما	اذ كرت ما افضت بك النعما
لله ظلك والهجير مسلط	قد بردت لفحات الاندا
والشمس ترغب ان تفوز بلحظة	منه فتطرف طرفها الاغيا
والنهر ييسم بالحباب كأنه	سلخ نضته حية رقشا
فلذاك تحذره الغصون فيلها	ابدا على جنباته ايعا (٢)

وفي هذا الوادى ايضا تقول حمدة بن زياد ابياتها المشهورة فتصفه بوادى ظليل خصب  
يسقيه الغيث المدرار ، كريم حنون يحنو على ضيوفه حنو المرضعات على اطفالهن ، فيسقي العطشى  
من ماء الزلال الذى يفوق الخمرة لذة وطعما وتصد ايكة الملتفة حرارقا الشمس عنهم وتفسح المجال  
للنسيم العليل ، واذ ما مرت عذرا به ووقع بصرها على حصاه اشتبه عليها الامر فتسرع الى عقدها  
تلمسه مرتاعة خشية ان يكون انفرط وانثرا امامها .

وقانا لفحة الرضا وادى	سقاء مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فتحنا عليها	حنو المرضعات على الفطيم
وارشفنا على ظمأ زلالا	الذ من المدامة للنديم
يصد الشمس انى واجهتنا	فيحجبها وبأئن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى	فتلمس جانب العقد النظيم (٣)

ولقد اختلف المؤرخون في نسبة هذه الابيات ، فانبعض يقول انها لحمدة والبعض  
ينسبها الى المنازى ولكن المقرئ يميل الى نسبتها الى حمدة ويستشهد على ذلك بأقوال عدة من  
مشاهير الادباء ومؤرخي الادب (٤)

(١) المقرئ المجلد الاول الجزء الاول ٢٩٣

(٢) " " " " " " " " ٢٩٤

(٣) النفع الجزء الثاني الطبعة الازهرية ٤٩١

(٤) " " " " " " " " ٤٩٢

وفيه تقول حمدة في مكان آخر وقد تذكرت فيه موقفا عاطفيا اثار دموعها :

اباح الدمع اسراري بواي	له في الحسن اسرار بواي
فمن نهر يطوف بكل روض	ومن روض يطوف بكل وادي
ومن بين الظيا مهابة انس	سبت ليبي وقد سلبت فواي
لها لحظ ترقده لامر	وذاك الامر يمنعي رقاوي
اذا سدلت ذوائبها عليها	رايت البدرني افق السواي
كان الصبح مات له شقيق	فمن حزن تسربل بالسواي (١)

وقد اثار وادي سحل او شنبل في ابن سعيد ابن حسان الشاعر فنظم فيه ابياتا جميلة وصف فيها منظره البهيج وازهاره المتنوعة وطبيعته الساكنة الهادئة . فلم يتعد في ذلك الوصف ما قاله الشعراء في الطبيعة الاندلسية .

وما شاقني الا نضارة منظر	وبهجة واد للعيون تروق
تأمل اذا املت حوز موامل	ومد من الحمرا عليك شقيق
واعلام نجد والسكينة قد طلت	وللشفق الاعلى تلوح بروق
وقد سل شنبل فوندا مهندا	نص فوق در در نيه عقيق
واذا نم منه طيب نثر اراقة	اراك فتيت المسك وهو فتيق
ومهما يكن جفن الغمام تبسمت	تغور اقاح في الرياض انيق (٢)

ويتذكر شاعر آخر اوقاته السعيدة التي كان يسبح فيها مع احبته بين الغصون الخضراء والعياء الجارية تحت الاشجار الباسقة يكرع الماء الزلال ومشاهد حصبا الانهر تلمع كأنها الدرّ والبلاهل تشد ونوق الشجر والطبيعة ساحرة ترف بشذاها الطيب ونسيمها العطر

رض الله وادي شنبانه	وتلك الغدايا وتلك الليال
ومسرحنا بين خضر الغصون	وورق العياء ومسحر الظلال
وبرتعا تحت اذواحه	ومكرها في النير الزلال
نشاهد منها كمرض الحسام	اذا ما انتست فوقه كالعوال
ولله من در حصانه	لاي واحسن بها من لال

(١) الاحاطة الجزء الاول ٢١٥ - ٢١٦

(٢) " " " " ٢٥ - ٢٦



## في الطيور والحيوان والاسماك

يعيش في الاندلس من الحيوانات ما يعيش في حوض البحر المتوسط وقد ذكر صاحب النسخ بعض هذه الحيوانات فقال \* ويكون بالاندلس من الغزال والاييل وحمار الوحش وبقره وغير ذلك ما لا يوجد في غيرها كثيرا . واما الاسد فلا يوجد فيها البتة ولا الفيل والزرافة ، وغير ذلك ما يكون في اقاليم الحرارة ولها سبع يعرف باللب اكبر بقليل من الذئب في نهاية من القحة . وقد يفترس الرجل اذا كان جائعا . وقال الاندلسي نارهه وخيلها ضخمة الاجسام حصون للقتال لحملها الذروع وتقال السلاح والعدو في خيل البر الجنوبي . ولها من الطيور الجوارح وغيرها ما يكثر ذكره ويطول وكذلك حيوان البحر ودواب بحرها المحيط في نهاية من الطول والعرض . قال ابن سعيد : عاينت من ذلك لا العجب والسافرون في البحر يخافونها لثلاث ثقلب المراكب فيقطعون الكلام ، ولها نوح بالما من فيما يتم في الجو اذا ارتفع مفرط (١) .

ويظهر ان اهل الاندلس كانوا ياكلون لحم الاغنام والبقر والدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الحيتان (٢) . وندم نوع من الحيوان ادق من الارنب واطيب طعما يدمى القلبية وكذلك كانوا ياكلون لحم الغزال (٣) والسمك (٤) . ويظهر ان هذه الحيوانات لم تجذب افكار الشعراء ولم توحى اليهم بالشيء الكثير مولعل الفرس احسن هذه الحيوانات حظا عند شعراء الاندلس فقد شادوا واطنوا في ذكرها ، ولعل هذه الظاهرة ترجع الى سببين ، الاول ان ذكر الخيل في الشعر العربي كثير جدا فقد كان العربي منذ اقدم عصوره يعتز بفرسه ويفضلها على نفسه ويخص قسا كبيرا من شعره لوصفها وذكر حاجتها وشجاعتها واخلاصها . فكان لا يد للشاعر الاندلسي وهو الذي ياثر الشاعر المشركي في كل شي ان يقلده ايضا في وصفه الفرس وحبه بها .

اما السبب الثاني وقد مر معنا شي منه نينا سبق فهو صلة الشعر الاندلسي الوثيقة بالخلفاء والامراء والعظماء من رجال الدولة . فلقد رأينا ان الشعر الاندلسي لم يكن في اقبال الا صدى لهؤلاء الاشخاص الذين كانوا يمدون امور الدولة . فجاء الشعر مديرا عن امانتهم وقاياتهم سواء كان في مدحهم او في وصف قصورهم وحدائقهم وكل ما يعت اليهم بهلة حتى ولو كان الشعر في الحيوانات التي كانوا يستخدمونها في شتى اغراضهم وهنا يجب ان لا ننسى ان تاريخ الاندلس تاريخ جهاد وكفاح ، وحرب وقتال وان الفرس هي العامل الاول الذي لعب دوره في هذا الجهاد فكان من الطبيعي وهرب الاندلس مشغولون بحبهم لوطنهم الجديد متدفعا للذود عنه وبذل كل شي لحمايته وصيانته من كيد العدو ان يهتموا بالخيل وان يصفوا الشعراء بفضائل كثيرة وان ياتي ذكرها في شعرهم اكثر من اي حيوان آخر .

(١) النسخ المجلد الثاني الطبعة الجديدة ٦٣ - ٦٤ (٢) النسخ المجلد (٥) طبعة جديدة ٥٩

(٣) " طبعة يولاتي الجزء الاول ٦٤ (٤) " الجزء الاول طبعة يولاتي ١٢٥

لذلك سحاول ان اسرد امثلة وصفهم للخيل بانواعها المختلفة ببعض اشعارهم

التي تبرز فيها صفات هذه الحيوانات الجميلة المحبوبة . قال ابن خفاجه وهو يصف فرسا اشقر مخضبا بلون الدم يظرب لصوت الحسام فمندفع الى الحرب كأنه شرارة من النار لينقض على الاعداء انقضاض الصواقي :

ومطيمهم شرق الاديم كانما	الفت معاذفه النجيع خضابا
طرب اذا غنى الحسام مزق	ثوب المعجاجة جيئة وذهابا
قدحت يد الهيجاء منه بارقا	متلهقا يزجي القتام سحابا
وروى الخفاض به شياطين العدى	فانقض في ليل الغبار شهابا
بسامه شخر الحلى بحسب انسه	كاس اثار بها المزاج حبابا (١)

وله في فرس اشقر ايضا بعض الابيات وهي لا تختلف في معناها عما ذكر

واشقر تصرم منه الوضى	مرمشعة من شعل الباس
من جلتار ناضر خده	وانه من ورق الاس
تطلع للفرقة في وجهه	حبابة تضحك في كاس (٢)

وقال ايضا يصف فرسا يعاني الشرى كأنه في يوم الوضى نجم من الضجوم القاذفة :

ومشرق الهادى طويل السرى	ضاني سيبب الذيل والعرف
يصرف الفارس في ليله	طرفا به اسرع من طرف
موءبا لو كان مستعبدا	لم يعهد الله على حروف
من انجم السعد ولكنسه	يوم الوضى من لمة انجم القزف (٣)

اما الفرس السريع فهو اسرع من الشهاب والبرق ولا يستطيع ان يخبرك عن سرعته الا الرياح :

اطرف فات طرفي ام شهاب	هفا كالبرق ضربه التمهط ب
اغار الصبح صدحته نقابا	فقر به وضح لنا النقاب
فهبما حث خال الصبح وانى	ليطلب ما استعار فما يعاب
اذا ما انقض كل النجم عنه	وضلت عن مسالكه السحاب
فيا عجباً له فضل الذرارى	فكيف ازال اريحة التسراب
سل الارواح عنى ادنى صداه	فعمد الريح قد يلقى الجواب (٤)

ويقول ابو الحسن بن سعيد العمسي في فرس اصفر اغرا كحل الحلية

واجرد تبرى اثرت به الشرى	وللفجر في خصر الظلام وشاح
له لون ذى عشق وحسن معشق	لذلك فيه ذله وضراح
عجبت له وهو الاصيل بعرفه	ظلام وبين الناظرين صباح
يفيد طير اللحظ والوحش عندما	يطير به نحو النجاج جناح (٥)

(١) ديوان ابن خفاجه ٢٦ (٢) ديوان ابن خفاجه ٧٥ (٣) ديوان ابن خفاجه ٨٦

(٤) النفر ١٥٠ السانط طبعته ١٣٤٦ (٥) النفر ١٥٠ السانط طبعته ١٣٤٦

وتبدوني اوصاف ابن حمديس للفرس ميزة التقليد لمعاني الشعراء القدماء فتشعر كأنك  
تقرأ شعرا من امرئ القيس وزهير .

(١) تضع اللبد فوق تيار سيل  
وقرى معقل وحارس ليل  
فتها امسكت بفضلة ذيل ي

ومديد الخطى كأنك منه  
قيد وحسن بلا ذخائر وهن  
اسبق الريح فوقه فاذا ما

وقال يصف فرسا ادهما :

(٢) ويجرى به كل عرق كرم  
وارساغ جاب وساتي ظليم  
مداوس تصقل منه اديس  
بدت منه في وجهه ليل بهيم

وادهم ينهب عرض المدى  
بحيني عقاب وشدقي غراب  
كان البروق على جسمه  
وتحسب غرة صبح منسير

ويصح التقليد هنا واضحا جليا حين يستعير ابن حمديس الفاظ امرئ القيس فيقول في فرس  
ادهم كان يوثر ركوبه على غيره

(٣) بماجل الاساد قيد الاوابد  
لما قد طفى من سنبل الهام حاصد  
صرع وكم ربح الى الجوصاعد  
اذا ما النظابة خطت ربوع القلائد  
بقولك للابطال هل من مجالد

ونفخس في صهنة الليل يمتطي  
يختم يخناء قبيعة صبارم  
يكر فكم جسم على الارض ساقط  
واسد تصبر الاسد كالبهم عندها  
اطلت وقد حان الجلاء سكونها

وقال في جواد :

(٤) حمل الزبرجد منه جسم عقيق  
من كثرة الكبوات فير فبيق  
لو كان يرفب في فراق رقيق

ومجرور في الارض ذيل عيبه  
يجرى ولمع البروق في آثاره  
ويكاد يخرج سرعة من ظله

وقال في فرس :

(٥) وقد لبست للمعين من فرس خلقا  
ونالت يد منها بوئبتها الشرقد  
لرمخ القرا عقلا وحيدا له ابقا  
ومن رشحها قطرا ومن لحظها برقنا

وظائرة بد الخيول بسيفها  
اذا شئت الفت على الحرب رجلها  
لحوق كاتي جامل من اعينها اقلها  
كريم تروى من نعمها سحبا لسها

(١) ديوان ابن خلفه حمديس ٣٥٤  
(٢) ديوان ابن حمديس ٣٧٥  
(٣) \* \* \* \* \* ١١٤  
(٤) \* \* \* \* \* ٢٨٨  
(٥) \* \* \* \* \* ٢٨٨

هذا هم ما جاء في وصف الفرس والى القارئ نماذج مختلفة لوصف بعض الحيوانات التي عاشت في الاندلس وقال ابن خفاجة في قصيدة قصيدة يذكر التفاهة في مفازة مظلمة بذئب ختال غدار تقشعرا لبدان لرويته وتقذح النيران من عينيه :

ومفازة لا نجم في ظلماتها	يسرى ولا فلك بها دوار
تتلهب الشعري بها وكأنها	في كف زنجي الدجى دينار
ترهب بها الشيطان نيبها والربى	دولا كما يتمج التيسار
قد لفتني نيبها الظلم وطاف بي	ذئب يلح مع الدجى زوار
طراق سادات الديار مساور	ختال ابنا السرى غدار
يسرى وقد نضح الندى وجه الصوفا	في نيرة قد مسها اقشعرا
فخشوت في ظلما لم تقذح بها	الا لظلمته وباسي نثار
ورفقت في خلع طلي من الدجى	عقدت لها من انجم ازوار
والليل يقصر خطوه ولربما	طالت ليالي الركب وهي قصار
قد شاب من طرف العجرة مفرق	فيها ومن خط الهلال غدار

(١)

وقال احدهم في صفة كلب وارنب

واطلس مله جانحتيه خوف	لا شوس مله شدقيه سلاح
يجاهرنا يطير حذار طاو	له ركبي يخلص به الهسراج
واعجب ان تقلص ليل ذيل ليل	احم وقد اجده به الروحاح
يجول بحيث يكثر عن نصال	مؤاللة وتحمله رمساح
وطورا يرتقي حدب الروابي	وأونة تسيل به الهطاح
جرب شدا وللصبح التماح	بحيث جرى وللبرق التماح
فخلخله وسوره ويمسح	جرى معه وطوقه صهحاح

(٢)

ووصف احدهم كلب صيد في عنقه بياض

وادهم دون حلي ظلي حالي	كان ليلا يقلده صهحاح
يطير وما له ريش ولكن	متى يهغو فارمه جناح
تكلم الطير مها نازمته	وتحسده اذا مر الرياح
له اللاحاظ مها جاء سلك	ومها سار فبهي له وشاح

(٣)

(٢) ديوان ابن خفاجة ٣٧

(١) ديوان ابن خفاجة ٥٩

(٣) النفع الجزء الثاني الازهرية ٤٦٨



وقال ابن خنجاه في تعجبه سودا :

كما اضرب الليل تحت الشفق  
لحفت الكنى واستطبت الارق  
سواد الدجى عن بياض الفلق  
ومثرت لحم عليه يفسق  
ولا استمات في ردا الفسق  
هى وتذوب عليها الحدق (١)

وسودا تدمي ببلها منحسرا  
واقسم لو مثلت ليلــــــــــــــــة  
ستخلع من فروها ضحوة  
فيا حسن خسر لها احــــــــــــــــمر  
وما رفقت في قميص الظلم  
ولكن تسيل عليها القلوب

وتنني لاشعرانه من الافضل ان اكتفي بهذا القدرة من الامثلة في الحيوان وذلك لعدم توفر الامثلة الجديدة بالذكر، لولا اني اردتها رشافة شاملة امريهيهما بعض النماذج في وصف الحيوان والطيور والهوام لا نظرافتها ارجدة صورها بل لتكون مثلا ناطقا مما وصل اليه الاندلسي في هذا

الباب .

وليس للشعرا الاندلسيين من جديد في اوصافهم الطيور على انواعها فهم لا يتعدون وصف لونها وريشها وقوامها وخواصها . وهم لا يرون فيها اكثر مما رآه قبلهم الشعرا المشركيون فهم يتأثرون خطي هؤلاء الشعرا في المعنى والمعنى والى القارى بعض الاوصاف في هذه الطيور .

وقال يصف حمامة :

كحسن خريسر من تكمر جدول  
مقلد طوق بالجمان الفصل  
دعتك الى كاس الغزال المكحل  
مذهبة بالراح قضة انمصل (٢)

وناطقة بالراء سجما مرددا  
مفردة في القضب تحسب جيدها  
اذا ما احى كحل الدجى من جفونها  
ملاحت لها كف الصبح زجاجة

وقال ايضا يصف الزرانة

متى ما ترق العين فيها تسهل  
راى الطرف منه ما عناه بمقول  
وناظرتا رثم وهامة امــــــــــــــــلى  
فهما تجد بالمشي في المشي تبخل  
بكرهما عن خطة المستهدل  
بظلف يد منها عزيز التفتقل  
على جسمك ترصيح حاج بهندل

ونوبية في الخلق منها خلائق  
اذا ما اسمها الفاه في السمع ذاك  
لها فخذ اقمر واطلاف قرهسب  
مهظنة الاخلاق كبرا وهرة  
وكم حولها من سانس حافظ لها  
توى ظلف رجل ياتقي ان تنقلت  
كان الخطوط البيفر والصفرا شبهت

ودائمة الاقعا في اصل خلقها  
 تلت احيانا بعين كميلسة  
 وهرف دقيق الشعر تحسب نبتة  
 تنفس كبرا من يراع مستعجب  
 وتنفس راسا في الزمام كانما  
 اذا طلع النطح استجادات نظاحه  
 وقرنين اوفت منبعا كل عقدة  
 اذا قمها بالثبرزاد تـعـعـززا  
 وتحسبها من نفسها ان تـبـخـتـرت  
 وم مشد قول امرى القيس حولها

اذا قابلت ادهارها من مقبيل  
 وجيد على طول اللوا مظلـلـل  
 اذا الريح هزته ذواثب منسـبـل  
 فتعطي جنوبا منه عن اخذ شطـال  
 تترك له في الجونفضة اجدل  
 براس له هاد على السحب معتـسـل  
 كوماتي باب الخبـاء المقـفـل  
 على كل خود ذات تاج مـكـسـل  
 تزفـطـطـطـط الى بعل عروسا وتـبـخـلـي  
 افاطم مهلا بعض هذا التـدـلـل (١)

ويظهر ان الصيد كان طادة محبوبة عند الاندلسيين ولذلك نجد اوصافا كثيرة عند ابن حمديس  
 للصيادين وحيوانات الصيد وفي الابيات التالية يصف الصقور والكلاب وقد خرج مع رفاقه للصيد +

وسامة اللاحاظ للصيد قريت  
 بكرنا على اكادها ندرى بها  
 تسابل عنها السحب والترب جـراة  
 فوارس اقد اقبلت في جواشـن  
 وفضف نرى اذ انهن لواحظـا  
 ومرى فـلاـهـنـد الـنـتـاج حـديـدة  
 دفا لنا منها جناح هـوـبـزة  
 اقام عليها موقد كير سـحـره  
 رد دنا بها روحا على تبو اورق  
 اقامت اتانيفق من الدر برهـة  
 ولما تظلى جمرها وتجدلت

وهل نام عنا الليل وانتبه الفجر  
 طرائد معمورا بها البلد القـر  
 جوارح فوق الراح اعينها خـزـر  
 من الرقم لم تخلق لها البيض والسـمـر  
 لمن خدود وهي من هبوة عنبر  
 نتائجها منه اذا وضعت شـفـر  
 كقاربة العصفور طاربع الذمـر  
 يصلي لها حرا وقد تلج لها الصـدـر  
 يببله ربح ويضربه قـسـطـر  
 عوارى لم تركب رواحها قد ر  
 وقصت بايدينا ذواثبها الحـمـر (٢)

اما في الديك وعلى راسه تاج احمر فيمكن ان يقال فيه اكثر مما يقال في غيره من الطيور وقال الاسعد

فيه  
 كان اتوشروان اعلاه تاجه  
 وطائر حسن بالسقاة موكـسـل  
 توهم مطلق الصدغ لونا بخده

وناظت عليه كف مارية القرطـا  
 يحب قلوب الشرب يلقطها لـقـطـا  
 فبكت بمسك الخال يتقطه نـقـطـا (٣)

(١) ديوان ابن حمديس ٣٣٤ ٣٣٥ (٢) ديوان ابن حمديس ١٥٠

(٣) الذخيرة القسم الاول المجلد الثاني ٢٩٧

وصفاً به سعيد العنسي غراب اليبين مشائماً مطيراً منه

إذا ما غراب اليبين صاح فقل له  
لانت على العشاق أقبح منظر  
تصبح بنوح ثم تعترط نسيباً  
حتى نحت صبح اليبين وانقطع الرجاء  
ترفق رماك الله يا طير بالبعد  
وأكره في الأيصار من ظلمة اللحد  
وتبرزني سود من الحزن مسود  
كانك من وشك الفراق على وعد (١)

والقمرى بشجوه الحنون ونوحه الباكي كثيراً ما يشير دموع الشعراء العشاق أو الحزاني  
فالمعتمد ابن عباد ينظم انظر الشعر وأرقه يرثي ولده عندما يرى قمرية تتوح وأمامها وكرفيه  
طائران يرددان نغماً ويفردان ترحة وترنما :

بكت إن راحة الفين ضمها وكسر  
وتاحت فباحث واستراحت بسرها  
فما لا أبكي أم القلب صخرة  
بكت واحداً لم يشجها غير فقده  
بني صغيراً أو خليل موائسق  
ونجمان زين للزمان احتواهما  
عذرت إذا إن من جفتي بقطرة  
فقل للنجوم الزهر تبيها معي  
مساءً وقد اختى على الفها الدهر  
وما نطقت حرفاً يبوح به سسر  
وكم صخرة في الأرض يجرى بها نهر  
وأبكي لآلئ عديدها كسسر  
يحزق ذا قفر ويفرق ذا بحر  
بقرطبة النكداء أو رندة القبر  
وإن لو مت نفسي فصاحبها الصبر  
لعلهما فلتحزن الأنجم الزهر (٢)

### الحشرات

النحلة :

ومن الذين اهتموا بالحشرات والهوام من شعراء الأندلس ابن شهيد وابن حمديس  
وقد جاء في الذخيرة : قال أبو الحسن " وقد ضارب أبو عامر بن شهيد هذا محاسن الطبيعة  
العالية البغدادية المضارعة التي بانث فيها قوته ولدنت اختراعاته ومقدرته فصارت تناول المعنى  
الحسن فيميز محاسن ساقه . وقال يصف النحلة :

وطائرة تعنى كان جفاحها  
ملازمة للروض حتى كأنما  
تج بفيها الشهد صرنا ويختفي  
مناصرة للانس تانس بالفلا  
فادناؤها رشدها وهتك حجابها  
ضيق خفي لا يحدده وهم  
لها كل ما تقترعه الربى طعم  
لمشائره ما بين احشائها سهم  
مفرقة للشهد من بعضها السم  
إذا احتجبت في غير أيامها ظلم (٣)

(٢) قلائد العقيان ٢١

(١) الفصح الجلد الثاني الطبعة الأزهرية ٤٤٨

(٣) الذخيرة قسم أول مجلد أول ١٨٥ - ١٨٦

نام الملك ، بين اثنا الثياب	ومنفر للنوم مسكه اذا
من كل جسم صيغ بالنعى حجاب	يسرى الى الاجسام يمتك عدوه
كف ولكن فوه من اعدى الحراب	وعضارداق الحسان وماله
متدلر ما بين الحاظ الكصاب	متحكم في كل جسم ناعم
يثنيه عما قد تعود طلاب	فاذا همت بزجره ولي ولا
يدم القلوب وما تعاوره خضاب	وترى مواضع عضة مخضوبة
يحشي البراز وما تواربه ثياب	قرم من الليل البهيم مكور
اخني واهون من ذباب في تراب	عظمت زينة ولكن قد ره

(1)

وقال ابن حمد يس وصف عقربا وقد ابدع في ذلك بدقة ملاحظة ودقة تعبير وتصوير  
 وصرفة بالموت للطعن صعدة  
 مداخلته في بعضها خلق بعضها  
 تذييق خفي السم من وخز ابرة  
 وتعمل بالراحات من لم يمت بها  
 اذا لم يكن لون البهارة لونها  
 لها سورة خصت بصورة رده  
 وقد نصلت للطعن معني صعدة  
 ولم ترعين قبلها سمريسة  
 لها طعنة لا تستبين لناظر  
 نسبت بها قيسا وذكرى طعنة  
 يحمل منها بائع السم بغتة  
 لها سقطه في الليل مؤذية بها  
 ونقر خفي في الشغوص كانه  
 ومن كل قطر يتقي شرهسا كما  
 تجبي كام الشبل فضي توقدت

فلا قرن اى نادته يوما يجيبها  
 كجوشن عظم ثلثه حروربا  
 اذا لسبت ماذا يلاقى لسبها  
 الى حين خاضت في حشاه كروبا  
 فمن يرقان دب فيها شحوبها  
 ترى العين منها كل شي يربها  
 بشوكة عناب قتييل زيبها  
 منظمة نظم الفرند كوربا  
 ولا يرسل الصمار فيها طبيها  
 وقد دق معناها وجل خطورها  
 نجيع قلوب في الضلوع دبها  
 اذا وجهت راع القلوب وجيبها  
 بكل مكان ينتقيه رقيبها  
 تذاب في جنح الدجنة ذيبها  
 وقد توج اليافون منها عيبها

ومنها الى ان يقول :

مدومع الانسان يحمر بينه      فكيف يرالي رقدة يستطيبها  
ولولا دفاع الله عنا بلطفه      لصبت من الدنيا علينا خطوبها (١)

وقال يصف الذباب الذي يقع على الارض

ومودع في العطايا لعة حمة      فيذبح الروح تعذيبا من الحسد  
يغشي السوام مناقيرا فتحبها      مباحا مديبات كل مفتصد  
يكحك من دمها الثاني يدا بيد      حك الظريف بحناء بنان يد (٢)

وقال في مقرب ايضا

وذات خلق تريب الخلق صورته      فكل ناظر عين ليس يالفه  
كان شوكة غاب بمفصها      يجرع السم منه من يصادفه (٣)

---

(١) ديوان ابن حمديس ٢٧ - ٢٨

(٢) ديوان ابن حمديس ١١١ - ١١٢

(٣) ديوان ابن حمديس ٢٧٦

## كلمة ختامية

وأخيرا لا بد من كلمة ختامية نختم بها ما اجملناه واسهبنا

في شرحه في الفصول السابقة فنقول :

- اولا - تقليد الشعراء الاندلسيين الشعراء الشرقيين تقليد تاما جعلهم في كثير من الاجيان ، بعيدين عن ان يحسوا احاسا شخصيا صادقا .
- ثانيا حملهم هذا التقليد على الاكتفاء بآثار الشعراء الشرقيين فلم ياتوا بالمعاني الجديدة ولم يضيفوا على الشعر العربي المعروف شيئا يستحق الذكر الا في بعض الموشحات .
- ثالثا لم يصف الاندلسيون الطبيعة متدفقين بتيار جمالي داخلي في نفوسهم يحثهم على حبها وتخليدها في شعرهم بل وصفوها ارضا لعظيم من العظمة او امير من الامراء او تزلفا لاحد هو ولا الناس .
- رابعا الطبيعة عند الشاعر الاندلسي هي في العمران والبناء والسنن لا في الحقل والزهور والرياحين وما يمكن ان توحيه هذه الحياة الريفية الساذجة للشعراء .
- خامسا فقدان النزعة التأملية . فالشاعر الاندلسي يعني اكثر ما يعني بالشكل الظاهر الخارجي ، اكثر ما يعني بريح الطبيعة . قد يصف هذا الشاعر الطبيعة بعد ان ينظر اليها ولكنه لا يتأملها ولا يتعمق في تأملاته فهو يظن دائما في اوصافه ، هائما بالحسن والجمال ، جمال الاشكال وجمال الرياحين والازهار بعيد عن ان يستجلي معانيها العميقة .
- سادسا ان فقدان النزعة التأملية ادت الى استعارات واحدة وتشابيه مكسرة ، متعائلة ، في وصف حاسن طبيعتهم . فاللسون الاحمر يذكرهم جميعا بالدم او القم او الخدود المصاح ، واللسون الاصفر يذكرهم بالعاشق الولهان او العنبر المقارق ولم يخرج شاعر في تصويره لمرور اريج فوق الماء عن تشبيهه بالزرد والحلق والدريع . ولا نجد وصفنا لطير الا وهو ما جع على النمنون الخضراء .

سابعاً

سهولة الشعر الأندلسي وهلملكته جعلته حبيباً إلى النفوس  
سهلاً إلى الحفظ . فلا يحتاج القارئ إلى استعمال المعاجم  
إلا في الشعر الذي يصف بعض الحيوانات كالغرس والأسد . وهنا  
يبدو الشعراء الأندلسيون مقلدين المشاركة .

ثامناً

في الشعر الأندلسي سطحية في المعاني وتوضيحية في اللفاظ . فالشعراء  
الأندلسيون لم يتوصفوا على المعاني يصطادوها من الأعماق كما  
كان يفعل شعراء المشاركة بل تنازلوها سهلاً، قريبة العتاول .  
واهتموا بزخرفة اللفاظ وتجميلها وتزيينها يسدون بها نقصيرهم .

ولعل في تعداد هذه الزبا ، منزلة منزلة ، نكون قد وضعنا  
إمام القارئ ملخصاً للشعر الأندلسي في وصف الطبيعة كما يبدو  
إمام الباحثين والدراسيين . ولست ادعي الإحاطة بالموضوع من  
جميع أطرافه ونقاطه ولكنني اعترف بفخر بانني بذلت جهداً كبيراً  
للوصول إلى كل ما يجب وما يمكن الوصول إليه لدراسة هذا الموضوع .  
وإن خيراً ما أختتم به رسالتي : كلمة العباد الأصعباني الذي استطاع أن  
يصور بها تصويراً دقيقاً ، ما يخالج نفس المؤلف بعد أن يكتب ما يكتب ، من  
قلق روحي يدفعه دائماً إلى حذف شيء أو زيادة شيء آخر ما أشعر به أنا  
بعد كتابة ما تقدم وشعر به كل كاتب على ما أرجح . قال العباد :  
( أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده :  
لو غير هذا كان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم ههنا لكان  
أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل و وهذا من أعظم العبر وهو دليل على  
استيلاء النقص على جملة البشر )

هذه رسالة تبحث في شعر الطبيعة في الاندلس تناولت فيها قبل البحث في جوهر الموضوع وبشيء من الايجاز تاريخ الفتح الاندلسي والاسباب التي دعت اليه والعوامل التي ساعدت على ذلك والثورة الاجتماعية التي تمخض عنها الفتح العربي واثرها الفعال في نفوس شعراء الاندلس وتلون شعرهم بلون خاص .

قال الاتدلسيون الشعر في مواضع شتى ونظموه في ابواب مختلفة ولكنهم ابدعوا وبرعوا بصفة خاصة في ذكر بلادهم الجميلة ووصف محاسنها ومفاتها . وحق لهم ذلك فقد اصبحت الاندلس في ايام استتب فيها الامن على يد الطغرى الفاتحين جنة الله في ارضه فتعددت خيراتها ودنت قطفها . واصبحت هذه الطبيعة الحلوة وهذه البساتين المشرقة وهذه الجنات التي لا نظير لها في اعتدال الهواء وعذوبة الماء شغل الشعراء الشاغل . منهم اذا ما مدحوا شبهوا بمدوحهم بالروضة الغناء يهب فيها النسيم العليل . وانا ما تغزلوا صاغوا من الورد خدودا ومن النرجس عيوننا ومن الآس اصداغا ومن السفرجل نهودا ، ومن قصب السكر قدودا ومن قلوب الجوز وسرر التفاح مباسم ومن ابنة العنب رضابا بل اكثرنا من تشبيه الحبيب بانواع الرياحين والرياح والبساتين وربما غالوا في ذلك حتى جعلوا من محبوبهم روضة مختلفة الازهار والالوان .

وتثير الطبيعة في نفس ابن زيدون شاعر الحب والجمال معاني الهوى وتحرك لواعجه ويرى الهوى في طلوع النجوم والنعى في هبوب النسيم . والحبيب عنده شمس تطلع من نقاب بل غصن بان يرفل في وشاح .  
وكانوا اذا رثوا صوروا الروض مثنيا على المرثى ، كما تجرى جداول الماء على الخدود حزنا عليه ويهتز الناس هزة الاغصان بكاء على المصاب وقد بكى الشاعر بحزن اليم يصيب منه الفؤاد فيطلب من الطبيعة ان توأسيه وان تهطل السحب دموعا .

وهكذا نرى ان الطبيعة عند الاندلسي تتقبل جميع الصور وتتقمص جميع الاشكال . ومثل هذا الشعر كثير جدا عند الاندلسيين ولكنه على كثرته لم تتنوع صورته ولم تتعدد مناحيه ولم يتعمق الشعراء في ابتكار معانيه حتى انهم لم يختلفوا كثيرا بعضهم عن بعض في انواع الاستعارات والتشبيهات والمعاني الواحدة تتكرر وتتردد في عدة قصائد لشعراء مختلفين بالفاظ مختلفة واحدة وتعابير واحدة . ان لم يكن الشاعر الاندلسي وهو يصف الرياض والبساتين الا كالرسم البارع الذي توفرت لديه المناظر البهجة ولكنه على توفرها وجمال الوانها لم يستطع ان ينقلها لنا الا كما التقطتها ريشته فلم يتمكن الا ان يسكب فيها روحا من روحه او ان يلونها



بريشة مغموسة بدم قلبه بل كان شاعرنا يخرج الى الطبيعة مع رفاقه يهيم بجمالها ويتمتع بسحرها ثم يقف امام مذياع لينقل الى الناس مشاهداته ومغامراته ومما تركته الطبيعة في نفسه من اثر وشعور يصدران عن الحس والمشاهدة فكان الشاعر يقرأ من سفر الطبيعة كما تراءت له لا اكثر ولا اقل . ولم يكن هذا بالشئ العسير فقد توفرت لديه المناظر وزخرت لغته بالاسماء والاصافلشتى مظاهر الطبيعة واثارها وحالاتها ووقاتها فما كان منه الا ان ينقلها الينا بقالب شعري لطيف . ولهذا نرى ان هذا الشعر اتم بالفتور واصطبغ بالصنعة وهيمنت عليه مسحة التكلف والتطرف ولعل ذلك يرجع الى ان شاعرنا لم يخرج الى الطبيعة يتأملها لاجلها وحدها ويستجلي محاسنها وان يحاول النفاذ الى معانيها واستكشاف اسرارها وغوامضها بل كانت هنالك دوافع عديدة خارجية تدفعه الى وصفها والتغني بمحاسنها اهمها :

- (1) تهافت الشعراء وتزاحمهم على عطايا الامراء والخلفاء ووقفهم شعرهم على هؤلاء الملوك لآرهم الخاصة والعامة فكثيرا ما كان الشاعر لا يقول الشعر الا بناء على طلب اميره في مدحه ووصفه ووصف قصوره ومبانيه وحدائقه وما حوت من الغرائب والنوادر .
- (2) منافسة الشعراء ومناظرتهم بعضهم بعضا في وصف الرياض والرياحين والبساتين حبا بالمنافسة والمناظرة لا ميلا الى الطبيعة والتغني بها .
- (3) كثيرا ما كانت هذه الاوصاف ترتجل ارتجالا دون ان يفكر الشاعر تفكيرا عميقا فيأتي بمعاني مبتكرة جديدة .

فهذه الاسباب ومثلها الكثير هي التي صبغت الشعر الطبيعي بصبغة التصنع والتكلف فجاء في اكثره متشابه الصور والالفاظ سطحي المعاني بادي الكلفة والتزويق . وقد قسمت شعر الطبيعة في الاندلس الى فصول وهي :

(1) الماء (2) الخضراء (3) الجبال والادوية (4) الطير والحيوان والهوام

### الماء :

تناولت في فصل الماء الجداول والغدران ، البحيرات والبحار ، الاحواض والنواعير . وما يلفت النظر في هذا الباب ان الشعراء اكثروا من تشبيهات المياه بالمعدات الحربية ، فالنساء وما تتركه فوق المياه من غضون وتجايد شبهوها بالدرود كما اكثروا من تشبيه الانهار بالمهند المصقول في حال عدم مرور النسيم فوقه وخلاصة القول ان الشعراء في جميع هذه الاوصاف لم يتجاوزوا الشكل فانهم لم ينفذوا الى اسرار البحار والانهار يرسمونها ويضفون عليها الوان الفن كما فعلوا في غيرها من الوان الطبيعة كما ان تشبيهاتهم للمياه كانت فحسوة جدا فلم تتعد تشبيه المياه بالدرود والسيوف والحلق والزررد والاراقم والمجرة والبلور المجلي كما حصروا تشبيه صوت المياه <sup>دورها</sup> ~~بصوتها~~ بزئير الاسود وغناء الطيور .

تبسطت في هذا الفصل بصورة خاصة لكثرة ما قيل فيه من الشعر ويحتوى على الرياض والحدائق بورودها ورياحينها وقراسفاكمتها وسواها . فتكلمت عن وصف الشاعر لهذه الرياض وحبها لها في جميع حالاتها ووصفه لاثمارها وازهارها ثمرة ثمرة وزهرة زهرة ثم تطرقت الى المنتزهات العديدة المنتشرة في الاندلس وما للخلفاء والعظماء ورجال الدولة من فضل في تحسينها وتجميلها وتشجيع الناس على ورودها والنظم فيها .

### ٣ - الجبال والودية

يلاحظ بشيء من الدهشة ان " الجبال " رغم كثرتها في الاندلس لم تكن لتؤثر في الشعراء او توحى اليهم بالشئ الكثير لذلك لا نرى لها اثرا كبيرا في قصائدهم ، واذا ما ذكرت فبشيء من الحذر والخوف والرعب لا تحببا اليها او تغزلا فيها . ولم تقل الوديان في الاندلس في اشجارها وكثرة اثمارها ووفرة ازهارها وتعدد انهارها جمالا وروعة وعددا عن الجبال . وهي كالجبال لم تذكر كثيرا في شعر الشعراء ولم تكن مصدر وحيهم والهامهم ، فلم تتحرك في وصفها اقلامهم ولم تخفق لها قلوبهم اللهم الا نفرا قليلا استطاعوا ان يذكروا لنا بعض هذه الوديان الشهيرة وان يصفوا طبيعتها الخلابة الجذابة .

### ٤ - الطيور والحيوان والهوام

ان هذه الطيور وهذه الحيوانات والحشرات لم تجذب افكارهم الشعراء ولم توح اليهم بالشئ الكثير ولعل الفرس احسن هذه الحيوانات حظا عند شعراء الاندلس . ولعل تاجر الشاعر الاندلسي بالشاعر المشرقى هم الذى جعله يميل الى الفرس وان يقلده في وصفه الفرس وحبها لها . حاول الشعراء في هذا الباب تقليد شعراء المشرق فلم ينجحوا كثيرا . وارى من الخير ان اختصر واحمل ما اسهبت في شرحه في سائر فصول الرسالة بكلمة ختامية فاقول :

- اولا - قلد شعراء الاندلس شعراء المشرق تقليدا عاما جعلهم في كثير من الاحيان يعيدون عن ان يحسوا احساسا شخصيا صادقا .
- ثانيا - حملهم هذا التقليد على الاكتفاء بمآثر الشعراء المشرقين فلم يأتوا بالمعاني الجديدة ولم يضيفوا على الشعر العربي المعروف شيئا يستحق الذكر الا في بعض الموشحات
- ثالثا - لم يصف الاندلسيون الطبيعة مندفعين بتيار جمالي داخلي في نفوسهم يحثهم على حبها وتخليدها في شعرهم بل وصفوها ارضا لعظيم من العظماء او امير من الامراء او تزلفا لأحد هؤلاء الناس .

رابعاً - الطبيعة عند الشاعر الاندلسي هي في العمران والبناء والفن لا في الحقل والزهور والرياحين وما يمكن ان توحيه هذه الحياة الريفية الساذجة للشعراء .

خامساً - فقدان النزعة التأملية . فالشاعر الاندلسي يعنى اكثر ما يعنى بالشكل الظاهر الخارجي اكثر ما يعنى بروح الطبيعة . قد يصف هذا الشاعر الطبيعة بعد ان ينظر اليها ولكنه لا يتأملها ولا يتعمق في تأملاته فهو يظهر دائما في اوصافه ، هائما بالحسن والجمال ، جمال الاشكال وجمال الرياحين والازهار بعيدا عن ان يستجلي معانيها العميقة .

سادساً - ان فقدان النزعة التأملية ادت الى استعارات واحدة وتشابه مكررة " متماثلة في وصف محاسن طبيعتهم . فاللون الاحمر يذكرهم جميعا بالدم او الفم او الخدود الملاح ، واللون الاصفر يذكرهم بالعاشق الولهان او المريض المفارق ولم يخرج شاعر في تصويره لمرور الريح فوق الماء عن تشبيهه بالزرد والحلق والدروع . ولا نجد وصفا لطير الا وهو ساجع على الغصون الخضراء .

سابعاً - سهولة الشعر الاندلسي وهلهلته جعلته محببا الى النفوس سهلا الى الحفظ . فلا يحتاج القارئ الى استعمال المعاجم الا في الشعر الذي يصف بعض الحيوانات كالفرس والاسد . وهنا يبدو الشعراء الاندلسيون مقلدين المشاركة .

ثامناً - في الشعر الاندلسي سطحية في المعاني وتوشية في الالفاظ . فالشعراء الاندلسيون لم يغوصوا على المعاني يضطادوها من الاعماق كما كان يفعل شعراء المشاركة بل تناولوها سهلة قريبة المتناول . واهتموا بزخرفة الالفاظ وتنميقها وتزيينها يسدون بها تقصيرهم .

ولعل في تعداد هذه المزايا ، مزية مزية ، نكون قد وضعنا امام القارئ ملخصا للشعر الاندلسي في وصف الطبيعة كما يبدو امام الباحثين والدراسيين .